وظائف الأيام

obeikandl.com

obeikandl.com

مُقَدِّمَة

الشيخ/ أحمد فريد

الحمد لله الذي رضي من عباده باليسير من العمل، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، وأفاض عليهم النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وضمّن الكتاب الذي كتبه: أنّ رحمته سبقت غضبه، دعا عباده إلى دار السلام، فعمهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلًا، وخصَّ بالهداية والتوفيق من شاء نعمة ومنة وفضلًا، فهذا عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم، وذلك فضله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته، ومن لا غنى به طرفة عين عن فضله ورحمته، ولا مطمع له في الفوز بالجنة، والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه وخليله، بَلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلّى الله وملائكته وجميع عباده المؤمنين عليه، كما وحَّد الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وعرَّفنا به ودعا إليه.

ثم أمَّا بعد:

فقد اطلعت على رسالة ابننا الحبيب/ **هشام عبد الجواد** في «وظائف الأيام»، فألفيتها جامعة للفوائد والفرائد، على صغر حجمها، وكنت أتمنى أن يعرِّج أولًا ـ ولو في المقدمة ـ إلى خطر الأنفاس واللحظات، وكيف أنَّ أنفاس العبد خطاه إلى قبره.

يا من بدنياه انشغل ... وغرَّه طول الأمل

الموت يأتي بغتة ... والقبر صندوق العمل

obeikandl.com

وكنت أتمنى أيضًا أن يشير إلى ما استولى على القلوب من طول الأمل، وبلوغ الوطر، والغفلة عن الاستعداد للآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الحجر: ٣).

وعلى كل حال فقد تكلم ابننا/ هشام ـ وهو من أسرة طيبة متدينة ـ في موضوع رسالته، وأدى الغرض من رسالته، وأنا أعلم أنَّ له أثرًا طيبًا على إخوته وإخوانه، فأسأل الله تعالى أن ينفع به، وأن يفتح لكتاباته قلوب عباده، وأن ينفعه بها يوم الورود عليه.

والله الموفِّق للطاعات، والهادي لأعلى الدرجات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

وكتبه
أحمد فريد

obeikandl.com

مُقَدِّمَةٌ

إنَّ الحمدَ لله، نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله مِن شُرورِ أنفسنا ومِن سيئات أعمالنا، مَن يَهدِه اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ (المائدة: ١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠،٧١).

أمَّا بعد..

فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

ثمّ أمَّا بعد..

فإنّ الوقت هو رأس مال العبد في هذه الدنيا، فطوبى لمن أدرك ذلك، فكان أحرص على وقته منه على ماله كما كان حال السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وخسر من أضاع الأوقات في غير طاعة، فضلًا عن إضاعتها في المعاصي.

openkandil.com

ونظرًا لتكالب القلوب على الدنيا وغفلتها عمّا خلقت له من عبادة الله والاستقامة على دينه ـ إلّا من رحم الله ـ فقد وضعتُ هذه الرسالة سائلًا الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلها تبصرةً لي ولإخواني وسببًا لزوال الغفلة والكسل عن القلوب، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

وكتبه

دكتور/ هشام عبد الجواد الزهيري

obeikandl.com

الفَصْلُ الأَوَّلُ
الوظائف العامة للأيام

وأعنـي بالوظائـف العامّة.. الأعمــال الصالحة غير المختصة بيومٍ محـدّدٍ بل ينبغي للمؤمـن أن يتعاهدهـا في كلّ يوم لمزيـد أهميتها ولعظيم أثرها في القلـوب، وهي الذكر، والدعـاء، والإكثـار مـن التنفل بالصـلاة، والتوبـة، وحفظ اللسـان، ومحاسـبة النفس، والتفكر.

أولًا - الذكر:

وهـو قوت القلب وغذاؤه، فلا حياة للقلب بدون الذكر، كما أنّه لا حياة للسـمك بدون الماء، فمن وجد في قلبه الألم عند فوات الأذكار، فهذه علامة حياة قلبه، ومن لم يتألم لفوات الذكر، فهذه علامةٌ من علامات مرض القلب.

وقد صارت هذه العبادة عند الكثير مجرد حركة للِّسان لا حظَّ للقلب فيها، وإنّا لله وإنّـا إليـه راجعـون، فالذكر الخالي عن التدبر ـ وإن كان له ثـواب ـ أجره أنقص وأثره في صلاح القلب وتهذيب النفس أضعف، ومن أفضل ما قيل في أسباب تحصيل تدبر الذكر ما أورده الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «التذكرة في الوعظ».

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أول ما يحتاج إليه العازم على ذكر الله: التفرغ من الشواغل الظاهرة، ثمّ تسـكين جوارح البدن عن الحركات الشـاغلة، ثمّ قطع الفكر عن القلب، ثمّ إشـعار نفسـه عظمة ما قد عزم عليه من ذكر ربه، ثمّ اسـتفراغ الوسـع في تجويد الذكر، ثمّ إطالة مجلـس الذكـر ما أمكنه إطالته، ثمّ التحفظ بالحالة التي اسـتفادها قلبه من الرقة باجتناب الملهيات.

قلتُ: يشمل ذلك المعاصي والمكروهات، من حين يقوم عن الذكر إلى أن يعود إليه، فهذه الشرائط السبع من راعاها حق الرعاية بلغ من مراد الذاكرين أقصى الغاية» (انتهى كلامه).

قلتُ: وكلامه يدل بوضوح على أهمية الإقدام على هذه العبادة الجليلة، والقلب مقبلٌ متفرِّغ، وكذا يدلّ على أهمية إطالة مجالس الذكر التي يجلسها العبد لا أن يجعل الذكر عبادةً تُقضى في فارغ الأوقات وفي هامش الأولويات، بل هي عبادة عظيمة الفائدة جليلة القدر لها الوقت المحدَّد المصون الذي لا تُترك فيه بحال، خاصةً وأنّ الذكر لا مشقة فيه.

وقوله: «تجويد الذكر» يعني به التدبر وحسن التعقل.

وقد ملئت الكتب ـ بحمد الله ـ بفضائل الذكر، سواء فضائل الذكر عمومًا أو فضائل الأذكار الخاصة، كأذكار الصباح والمساء، وأذكار دخول المنزل والمسجد، والخروج منهما وغيرها من الأذكار، فلا أريد الإطالة بذكرها، ولكني أوجه النصح لنفسي ولإخواني الذين غفلوا عن الذكر، والقرآن بحجة طلب العلم أو الدعوة، فأنصحهم بلزوم هذه العبادة العظيمة، والإكثار منها؛ إذ لا حجة لهم في تركها، فقد أوصى رسول الله ﷺ أعلم الأمة بالحلال والحرام، فقال له: «**واذكر الله عند كل حجر وشجر**» (صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»)، فكيف يزعم زاعم أنّ الذكر يشغل عن العلم؟؟

وأمر ربنا المجاهدين به، وهم أعظم الدعاة أجرًا، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الأنفال: ٤٥).. فيا عجبًا لدعاة يغفلون عنه!!.

ثم إنه لا يسلم أحد في الغالب من كسل أو فتور، فشغل هذه الأوقات بالذكر أولى من إخلائها عن عبادة، ويكفي في فضل الذكر قول النبي ﷺ: «**ما عمل آدمي عملاً قط أنجى له من عذاب الله من ذكره الله**» (رواه أحمد وصححه الألباني).

ويكفي أيضًا في فضله قول رسول الله ﷺ لأحد صحابته لما سأله فقال: قد كثرت علي شرائع الإسلام، فأخبرني بشيء أتشبث به، فقال له رسولنا: «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله**» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

إخواني.. اذكروا الله بالمساء والصباح.. عسى أن يدرككم أعظم فلاح.. أما تريدون أفضل المنازل.. ها هي قد بانت فأين النازل؟!(١).

والله لو تعلمون فضائل ما فاتكم من أذكار، لتقطعت قلوبكم حزنًا على الثواب.. فالزموها من اليوم.. تأمنوا العقاب(٢).. وابدءوا اليوم واختموه بها(٣).. عسى أن تُزال الأوزار.. فمن تدبر في ذكره.. غمرت قلبه الأنوار.. ومن أدمن الأوراد.. لم ينقص وقت علمه بل زاد.. فقليل الذكر كثير النوم.. والمكثر منه قليل الرقاد (النوم).. ذِكْر الله بركة

---

(١) أعني قول رسول الله ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، لم يجئ يوم القيامة أحد بعمل أفضل من عمله إلا من قال مثل قوله أو زاد**» (رواه النسائي في «الكبرى»، وحسنه الألباني)، وقال أيضًا ﷺ: «**من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه**»، فدل على أن الذكر أفضل الأعمال، ومنزلة أهله أعلى المنازل.

(٢) ففي الحديث: «**سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فمن قالها من النهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة**» (رواه البخاري في «صحيحه»).

(٣) أعني أذكار الصباح والمساء.

obeikandl.com

ونور.. فمن تركه فأرض قلبه بور.. في ذكر الصباح خيرات وخيرات.. فاتركوا السهر تُحصِّلُوا البركات[١].. وفي ذكر المساء برد ويقين.. فاحذروا النوم واللعين[٢].. وما فاتكم من ذكر فاقضوه.. عسى أن تدركوا الخير ولا تحرموه.

إخواني.. لا تتركوا ما بعد الصلاة من أذكار.. أما علمتم بثوابها!! فخسر والله الكسلان!![٣].

وتمسكوا بكتاب ربكم.. فلنعم الشفيع والبرهان.. وطهروا القلوب لئلا تمله.. هكذا قال ابن عفان[٤].

ربيع القلوب، ومذهب الهموم ومجلي الأحزان.. وأعظم من ذلك بفضل المنان.. فأكثروا قدر المستطاع.. فقد جزأه الصحب إلى أسباع[٥].. واقرأوه ليلاً ونهارًا.. فمن أعرض عنه ضاع.. فالقرآن القرآن.. والقرآن القرآن.. لو تعلمون منه ما يعلم العارفون.. لو ذقتم من حلاوته ما ذاق المحبون.. لو تدركون كم حصَّل من كنوزه المتدبرون.. عجبًا ثم عجبًا للناس كيف عنه يغفلون.

---

(١) أعني أنه ينبغي على المؤمن ألا يكثر من السهر بالليل؛ لئلا يضطر إلى النوم بعد الفجر مباشرة، فتفوته حلاوة أذكار الصباح، وأثرها العظيم في القلب.

(٢) أعني أنه ينبغي على المؤمن أن يحذر الشيطان لئلا يكسله، فينام بعد العصر، ويترك أذكار المساء، وليستعن على ذلك بقلة الطعام خاصة في الغداء.

(٣) فقد ورد في الحديث: «**من قال دبر كل صلاة مكتوبة سبحان الله ثلاثًا وثلاثين، والحمد لله ثلاثًا وثلاثين، والله أكبر ثلاثًا وثلاثين، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت له ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر**» (رواه مسلم).

(٤) أعني قول عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم.

(٥) أعني ما ورد عن الصحابة أنهم كانوا يقرأون القرآن في كل سبعة أيام، فعلى المرء أن يكثر من تلاوته قدر المستطاع.

إخواني.. لا أستطيع وصف أثر القرآن في القلوب.. فأعظموا بكلام علام الغيوب.. أما فيه للعلماء دلائل واستنباطات.. وللعبَّاد دقائق وإشارات.. وللدعاة قصص مثبتات.. بتلاوته تصلح القلوب.. وبتدبره تُعرف العيوب.. قال عنه ربكم: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ (المَائِدَة: ١٥)، وقال أيضًا: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يُونُس: ٥٧)، .. كفى والله في فضله هاتان الآيتان.

فائدة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان له ﷺ حزبٌ يقرؤه ولا يخل به، وكانت قراءته ترتيلًا لا هذًّا ولا عجلة، بل قراءة مفسرة حرفًا حرفًا، وكان يقطع قراءته آيةً آيةً».
(زاد المعاد: ١/ ٤٨٢)

ثانيًا- الدعاء:

والمتأمل لما ورد في السُّنّة عن الدعاء، يعجب لكثرة ما ورد عن فضله وأوقات إجابته وآدابه، وأسباب استجابته، وأسباب رده، وكذا ما ورد فيها من أدعية كثيرة، واستعاذات، مما يدل على أن لهذه العبادة شأنًا في الإسلام، ويشهد لهذا قول النبي ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**» (رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني).

ولا أبالغ إن قلت: من أدمن الأدعية الواردة في الكتاب والسُّنّة وتأدب بآداب الدعاء صار من العارفين بفضل الله.

وهل أدلّ على أهمية الدعاء من كثرة ما أورده القرآن من أدعيةٍ دعا بها الأنبياء والرسل وعباد الله الصالحين مادحًا لهم على دعائهم بها ومعلِّمًا لنا الاقتداء بهم في ذلك حتى أنّه سبحانه أخبر عن صفات عباد الرحمن ـ وهم المخلصون الذين وصفهم الله بصدق العبودية له ـ وجعل من كمال عبوديتهم أنهم يدعون فيقولون: ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (الفُرْقَان: ٦٥، ٦٦)،

ويقولون: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤).

ولعظيم أهميته كان هو سلاح المؤمنين في مواجهة أعداء الدعوة، فقد قال سبحانه لنبيه: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (التوبة: ١٢٩)، وأخبر سبحانه عن عباده المؤمنين أنّهم قالوا في مواجهة الظلم والظالمين: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (يونس: ٨٥، ٨٦)، ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (الأعراف: ٨٩)، ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٠)، ﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ (العنكبوت: ٣٠)، ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الممتحنة: ٤، ٥).

ولمزيد مكانته وعظيم نفعه صار هو ديدن الأنبياء والصالحين للنجاة من أهوال يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحريم: ٨)، وأخبر ﷺ - كما في الصحيح - عن يوم القيامة، فقال: «**ودعوى الأنبياء يومئذٍ: ربِّ! سلِّم سلِّم**».

ومن كريم فضله أنّه سبب رفع البلاء ومنعه، فقد مرّ ﷺ بقومٍ مبتلين فقال: «**أما كان هؤلاء يسألون العافية**» (أورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ٢١٩٧)، وقال أيضًا ﷺ: «**لا يردُّ القضاء إلّا الدعاء**».

(أورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ١٥٤)

ولِعلم النبي ﷺ بأهميته كان إذا حزبه أمرٌ، قال: «**يا حيّ يا قيوم برحمتك أستغيث**» (السلسلة الصحيحة رقم: ٢٤٩١)، و«**كان إذا حزبه أمرٌ صلّى**» (رواه أبو داود وصححه الألباني)، والصلاة من أولها إلى آخرها دعاء.

وقد علم الصحابة هذه الأهمية فكانوا يسألون عنه، ففي الصحيحين أنّ أبا بكرٍ قال: يا رسول الله علمني دعاءً أدعو به في صلاتي، فقال: «**قل: اللهمّ إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلّا أنت فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني، إنّك أنت الغفور الرحيم**»، وروى أبو داود والترمذي ـ وصححه الألباني ـ أنّ شَكَل بن حميد رضي الله عنه قال: علمني يا رسول الله دعاءً، فقال: «**قل: اللهمّ إني أعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي، ومن شر منيي**»، وروى الترمذي ـ وصححه الألباني ـ أنّ عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله: أرأيت إن علمتُ أيّ ليلةٍ ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «**قولي: اللهمّ إنّك عفوٌّ تحب العفوَ فاعفُ عني**».

وقد علم ﷺ من صحابته اجتهادهم في الدعاء وطلبهم لأعلى المراتب فيه، فقال لهم: «**أتحبون أن تجتهدوا في الدعاء؟ قولوا: اللهمّ أعنّا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك**» (رواه الإمام أحمد في المسند وصححه الألباني).

وكيف لا يدركون أهميته وقد تواتر عنه ﷺ اهتمامه ومداومته على هذه العبادة، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: «**قلَّما كان يقوم رسول الله ﷺ من مجلسٍ حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: اللهمّ اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلِّغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصيبات الدنيا،...**» إلى آخر الدعاء المشهور (رواه الترمذي وحسنه الألباني)، وقال ابن عمر أيضًا: كان يُعدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة قبل أن يقوم «**رب اغفر**

لي وتب عليّ؛ إنّك أنت التواب الغفور» (رواه الترمذي وأبو داود وصححه الألباني)، إلّا أنّ أبا داود رواه بلفظ: «**التواب الرحيم**».

إخواني.. من أراد أن ينجع الدعاء في قلبه.. فليدع بأدعية رسوله ﷺ، وليلحّ وليكثر.. كم من خير لا يستطيعه العبد.. فإن دعا فسيهتدي ويبصر.. فضلًا من الله ونعمة.. والله أعظم وأكثر.. لا يشقى عبد مع الدعاء أبدًا.. ألم يقل زكريا عليه السلام: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ (مريم: ٤).. إخلاص الدعاء نور القلب.. وكم من داع صار تقيًا.

إخواني.. لا كمال للدعاء بغير اليأس من النفس والثقة في الرب.. فمن تحقق هذين؛ كمل حاله واستقام أمره.. فلا تيأسوا لحرمانكم من الطاعة.. فربما حرمتم لتدعوا.. ولتتضرعوا.. فمحروم يدعو ويتضرع خير من طائع آمن واثق من نفسه.. انظروا كيف كان اجتهادكم أن تعترفوا بحاجتكم إلى إعانة ربكم[1].. وخير دعائكم إقراركم بأن الفضل من ربكم[2].

إخواني.. لو تعلمون ما علم العارفون من الذكر والدعاء.. لو ذقتم ما ذاق المحبون من التضرع والثناء.. لحزنتم على ما فات، ولكثر البكاء.. فأكثروا من الصلاة على رسولكم ﷺ.. فهو الذي دلكم على الخير كله.. وادعوا بأدعيته ففيها الشفاء.. وأيقنوا ألا حول ولا قوة إلا بالله.. فهي كنز من كنوز الجنة.. وطوبى لأهل الثناء.. اشكروا الرب على توفيقكم للطاعة.. فلأهل الشكر المزيد.. وما حرمكم فاسألوه وتضرعوا، فللداعين العون المديد.

---

(١) أعني ما ورد في الحديث: «**أتحبون أن تجتهدوا في الدعاء؟، قولوا: اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**» (صححه الألباني في «صحيح الجامع»).

(٢) أعني ما ورد في الحديث: «**أفضل الذكر: لا إله إلّا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله**» (رواه الترمذي، وصححه الألباني).

قلت: فجعل أفضل الدعاء حمد الله على نعمه.

إخواني، إذا حرمتم ووُفِّق غيركم.. فلا تحقدوا ولا تحسدوا.. ولكن سلوا الله أن يثبتهم ويرزقكم.. عسى أن يستجاب لكم.

ثالثًا- الإكثار من التنفل بالصلاة:

وهو عمل هام ينبغي على المؤمن تعاهده، في عسره ويسره، فقد صح عن رسولنا ﷺ: أنه كان إذا حزبه أمرٌ فزع إلى الصلاة، وقال ﷺ: «**اعلموا أن من خير أعمالكم الصلاة**» (صححه الألباني)، ولما كانت نافلتنا تعوض الفريضة، فكثير منا فاتته صلوات، ومن صلاها كلها لم تسلم صلاته من غفلة، ونقص خشوع وقلة تدبر، فالذي ينبغي على المؤمن تعاهد نوافل الصلاة والإكثار منها، وقد نص الفقهاء على أنه من ترك النوافل كلها ردت شهادته ولم تقبل عند الحاكم.

إخواني.. صلى سفيان الثوري في الحرم، فسجد سجدة، فطاف طائف سبعة أشواط، وسفيان ساجد، وقبل ذلك قام رسولكم ﷺ بالبقرة وآل عمران والنساء في ركعة واحدة.. فأكثروا من التنفل يرحمكم الله.

إخواني.. من فاته قيام الليل ففي الضحى مستعتب.. وبين المغرب والعشاء فلينصب.. الصلاة نور القلب ووقوده.. فمن فرط فلن يستقيم على خير عوده.. أما سمعتم بثابت الهجَّاد[١].. أما علمتم بابن طلحة السَّجَّاد[٢].. أما بلغكم تورم قدم خير العباد[٣].. فطوبى لمن استبصر، واستعد ليوم التناد (القيامة).

---

(١) أعني: ما ورد عن ثابت البناني أنه كان لشدة حبه للصلاة والتهجد يقول: «يا رب لو رزقت أحدًا الصلاة في قبره، فارزقنيها»، فكان بعد مماته يُرَى في قبره مصليًا.

(٢) أعني: محمدًا بن طلحة الذي كان يطيل السجود جدًا، حتى سمي بالسجاد.

(٣) أعني ما ورد من تورم قدم رسول الله ﷺ من طول القيام، فسئل عن ذلك، وقد غفر الله له، فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**».

قدر إيمانكم على قدر تعظيمكم للصلاة.. فلا تضيعوا حلاوة الفجر بطول السهر والرقاد[١].. وأقيموا الصلاة لرب العباد[٢].. وأطيلوا واخشعوا وتضرعوا.. فالصلاة خير زاد.

فوائد:

١ - قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه القيم «الوابل الصيب من الكلم الطيب»: «والنّاس في الصلاة على مراتب خمس:

أحدها- مرتبة الظالم لنفسه المفرِّط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها، فهذا معاقب.

الثاني- من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكن قد أضاع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوساوس والأفكار، فهذا محاسب.

الثالث- من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاةٍ وجهاد، فهذا مكفَّرٌ عنه.

الرابع- من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق قلبه في مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيِّع شيئًا منها، وهمّه كلّه مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، فهذا مُثاب.

---

(١) **أعني**: أنه يجب الحذر من طول السهر بالليل، ولو بالقيام، إذ هو سببٌ لكسل العبد في صلاة الفجر، والفريضة أهم من قيام الليل، وكذلك ينبغي الحذر من النوم طوال الليل حتى الفجر، فهو سبب كذلك لكسل القلب عن الصلاة.

(٢) **أعني**: أنه ينبغي للمؤمن أن يهتم بإقامة صلاته، والخشوع فيها على أكمل وجه، ويعينه على ذلك: في الفجر بما ذكرناه آنفًا، وللظهر بالمحافظة على أربع قبلها، وللعصر بالمحافظة على أربع قبلها كذلك، وبعدم المبالغة في الأكل، وللمغرب بالمحافظة على أذكار المساء قبلها، وللعشاء بالتنفل بين المغرب والعشاء ـ والله المستعان ـ.

obeikandl.com

الخامس- من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي الله ناظرًا بقلبه إليه مراقبًا له، ممتلئًا من محبته وعظمته كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات، فما بينه وبين الغافل في الصلاة أفضل وأعظم ممّا بين السماء والأرض، وهذا مقربٌ من ربه» (انتهى كلامه بتصرف يسير).

قلتُ: وفيه أنّ محاولة الخشوع في الصلاة ومجاهدة النفس في ذلك واجبة.

٢- في الحديث: «**إنّ الرجل لينصرف وما يكتب له إلّا عُشْر صلاته، تُسْعها، ثُمْنها، سُبْعها، سُدْسها، خُمْسها، رُبْعها، ثُلْثها، نصفها**» (رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع)، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: «ليس لك من صلاتك إلّا ما علقت منها».

قلتُ: فمن راجع نفسه وتفكر في هذا الأمر حق التفكر أكثر من النوافل ولابد؛ ليعوِّض نقص الفرائض، وهذا أمرٌ ثقيل على النفس في البداية ـ أعني الإكثار من النوافل والإطالة فيها ـ ولكنّه يسهل على النفس مع المداومة عليه حتى تصير سعادة النفس فيه، فعلى المؤمن ألّا يغفل عن هذا الأمر الخطير، فعن ابن مسعود أنّه قال: «الصلاة مكيال، فمن أوفى استوفى، ومن طفَّف فقد علم ما قال الله ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (المطففين: ١).

٣- قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مثل الصلوات الخمس كمثل نهرٍ غمرٍ جارٍ على باب أحدكم يغتسل منه كلّ يوم خمس مرات**» (رواه مسلم)، فالمحافظة على الصلوات في المساجد عملٌ عظيم، وله أثره الكبير في صلاح القلوب، وعن سعيد بن المسيب أنّه قال: «من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البرّ والبحر عبادة» ولكن ينبغي الحرص على حسن أدائها وتعويض نقصها بالنوافل، وقد مُدِح غيرُ واحدٍ من السلف بأنّه: «ما حضره حقٌ من حقوق الله إلّا وهو مستعدٌّ له»، فيا عجبًا للبعض الذي تتكاسل نفسه عن محاولة الخشوع في الصلاة ـ مع وجوب ذلك ـ لكونهم يرون أنفسهم غير

سالكةٍ لطريق الزهد، وتمنّيهم أنفسهم بالمحاولة إذا سلكوا طريق الزهد، ويستمر حالهم على هذا، فَلَا هُمْ يسلكون طريق الزهد، ولا هم يحاولون الخشوع في الصلاة!!

إخواني.. أعمال الخير كثيرة، ولا يستطيع كلُّ أحدٍ كلَّ شيء فاعملوا بالفضائل كلها ولو لمرة، والزموا عملًا أو عملين لا تتركوهما حتى الممات، عسى أن تكون نجاتكم به.. فمن استطاع أن يكون عمله عمل بلال (المحافظة على الوضوء مع صلاة ركعات بعده) فليفعل.

ومن استطاع أن يكون عمله الدعاء بالسَّحَر وصلاة ركعات به فليفعل، فقليل السحر كثير.

ومن استطاع أن يكون عمله اللهج بالذكر في كل وقت والإكثار من تلاوة القرآن فليفعل، فقد قال رسول الله ﷺ موصيًا أحد صحابته: «**ألا يزال لسانك رطبًا من ذكرالله**».

ومن استطاع أن يكون عمله تحفيظ القرآن وتعليمه للناس فليفعل، ففي الحديث: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» (رواه البخاري).

ومن استطاع أن يكون عمله فك كربات الناس والسعي في حوائجهم، فليفعل، ففي الحديث: «**خير الناس أنفعهم للناس**» (صححه الألباني في «صحيح الجامع»).

قلتُ: وأنفع ما يكون تعليم الناس الشرع والدين.

ومن استطاع أن يكون عمله الصلاة والإكثار منها، فليفعل، ففي الحديث: «**اعلموا أن خير أعمالكم الصلاة**» (رواه ابن ماجه وصححه الألباني).

obeikandl.com

ومن استطاع أن يكون عمله الحج والعمرة مع إحسانهما والإكثار من الدعاء فيهما فليفعل، ففي الحديث: «**تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب**». (رواه الترمذي وصححه الألباني)

ومن استطاع أن يكون عمله الإكثار من الصوم فليفعل، فقد قال رجل: دُلَّني على عمل يدخلني الجنة يا رسول الله؟، فقال ﷺ: «**عليك بالصيام، فإنه لا عدل له**» (رواه النسائي وصححه الألباني)، ولكن ينبغي لكل هؤلاء عدم ترك الأصول من رواتب النوافل، وأذكار الصباح والمساء، والإكثار من الصيام وقراءة القرآن قدر المستطاع.

فوائد:

١- على المرء أن ينتبه لأهمية إتقان العمل الصالح وحسن أدائه؛ فليس المقصود الكمّ ولكنّ المقصود الكيف؛ ولذا ورد عن كثيرٍ من السلف ـ وروي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنّهم قالوا: «كونوا بقبول العمل أهمّ منكم بالعمل» يقصدون أهمية إتقان العمل وإحسانه ولو كان قليلًا في كَمّه، وقد وصف الإمام الآجري رحمه الله حال هؤلاء الذين يهتمون بالكيف لا بالكمّ، فقال: «ليس همّته متى أختم السورة، همته متى أستغني بالله... متى أكون من المتقين... متى أكون من المحسنين، متى أكون من المتوكلين... متى أكون من الخاشعين... متى أكون من الصابرين... متى أكون من الصادقين... متى أكون من الخائفين... متى أكون من الراجين... متى أزهد في الدنيا... متى أرغب في الآخرة... متى أتوب من الذنوب... متى أعرف النعم المتواترة... متى أشكر عليها... متى أعقل عن الله الخطاب... متى أفقه ما أتلو (أي: من القرآن)... متى أغلب نفسي على ما تهوى... متى أجاهد في الله حق الجهاد... متى أحفظ لساني... متى أغض طرفي... متى أحاسب نفسي... متى أتزود ليوم معادي... متى أكون عن الله راضيًا... متى أكون بالله واثقًا... متى أكون بزجر القرآن متعظًا... متى أكون بذكر الله عن ذكر غيره مشتغلًا... متى أحب ما يحب... ومتى أبغض ما يبغض... متى أنصح لله... متى أخلص عملي لله...

متى أقصِّر أملي... متى أتأهب ليوم موتي وقد غُيِّب عني أجلي... متى أفكر في الموت وشدته... متى أفكِّر في خلوتي مع ربي... متى أفكِّر في المنقلب... متى أحذر ممّا حذرني منه ربي» (انتهى بتصرف يسير من كتاب «أخلاق حملة القرآن» للآجري).

٢- من أراد أن تعلو همته وتقبل نفسه على أبواب الخير والطاعات المتنوعة، فعليه بقيام الليل وتدبر القرآن فيه.

٣- قد بيّن النبي ﷺ فضل العلم وتعليمه على غيره من الأعمال الصالحة فقال: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**» (رواه الترمذي وحسنه الألباني)، وقال: «**مَنْ دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه**» (رواه مسلم)، ولكن لابد من العمل بهذا العلم وإلّا كان حجةً على العبد فقد صح عن أبي الدرداء أنّه قال: «إنّما أخشى على نفسي أن يُقال لي على رؤوس الخلائق: يا عويمر هل علمت؟ فأقول: نعم، فيُقال: ماذا عملت فيما علمت».

وقال قتادة: «بابٌ من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح الناس أفضل من عبادة حولٍ كامل».

وقال الفضيل: «عالمٌ عاملٌ معلِّمٌ يُدعى كبيرًا في ملكوت السموات» (رواه الترمذي موقوفًا عليه وصححه الألباني).

وقال مكحول: «ما عُبد الله بأفضل من الفقه».

وقال سفيان بن عيينة: «أرفع الناس منزلةً عند الله من كان بين الله وبين عباده، وهم الرسل والعلماء».

وقال سفيان الثوري: «ما من عملٍ أفضل من طلب العلم إذا صحت فيه النية».

رابعًا- التوبة:

وهي توجع القلب وحزنه على عصيانه لربه وعزمه الأكيد على عدم العودة إلى ما يسخط الله.

قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كتاب «منهاج العابدين»**: «عليك يا طالب العبادة ـ وفقك الله لطاعته ـ بالتوبة، وذلك لأمرين:

أحدهما- ليحصل لك توفيق الطاعة، فإنّ شؤم الذنوب يورث الحرمان، ويعقب الخذلان، وإنّ قيد الذنوب يمنع من المشي إلى طاعة الله، والمسارعة إلى خدمته، فكيف يوفِّق للطاعة من هو في شؤم المعصية والقساوة؟! وكيف يقرِّب للمناجاة من هو متلطخ بالأقذار والنجاسات؟! فلا جرم أن لا يجد المصرّ على العصيان توفيقًا، ولا تخف أركانه للعبادة، وإن اتفق فبِكَدٍّ لا حلاوة معه ولا صفاء، وكلُّ ذلك لشؤم الذنوب وترك التوبة.

والثاني- أنّه تلزمك التوبة لقبول عبادتك، فإنّ رب الدَّيْن لا يقبل الهدية؛ وذلك أنّ التوبة عن المعاصي فرضٌ لازم، وعامّة العبادة التي تقصدها نفل، فكيف يقبل تبرعك والدَّيْن قد حلّ عليك لم تقضه» (انتهى كلامه بتصرف).

قلتُ: والمقصود التوبة النصوح الصادقة، وقد بيّن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ شروط ذلك، فقال: «النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء:

أحدها- تعميم جميع الذنوب واستغراقها بحيث لا تدع ذنبًا إلا تناولته.

والثاني- إجماع العزم والصدق بكليته عليها بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلوُّم ولا انتظار، بل يجمع عليها كل إرادته وعزيمته مبادرًا بها.

والثالث- تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها، ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته والرغبة فيما لديه والرهبة ممّا عنده، لا كمن يتوب لحفظ جاهه أو حرفته أو لحفظ حاله أو ماله أو استدعاء حمد الناس أو الهرب من ذمّهم» (انتهى من مدارج السالكين بتصرف).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في موضعٍ آخر من نفس الكتاب:** «المبادرة إلى التوبة من الذنب فرضٌ على الفور لا يجوز تأخيرها، فمتى أخّرها عصى بالتأخير، فإذا تاب من الذنب بقي عليه توبةٌ أخرى؛ وهي من توبته من تأخير التوبة، وقَلّ أن تخطر هذه ببال التائب، بل عنده: أنّه إذا تاب من الذنب لم يبق عليه شيءٌ آخر، وقد بقي عليه التوبة من تأخير التوبة».

وقال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «علامة التائب: إسبال الدمعة، وحب الخلوة، والمحاسبة للنفس عند كل همّة».

خامسًا- حفظ اللسان:

وقد بيّن صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطورة أمر اللسان بقوله: «**لا يستقيم إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ قلبُه، ولا يستقيمُ قلبُه حتى يستقيم لسانه**».
(رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب)

وبقوله: «**وإنّ الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما كان يظنّ أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها سُخطه إلى يوم يلقاه**» (رواه مالك والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني)، وبقوله: «**إنّك لن تزال سالمًا ما سكتَّ، فإذا تكلَّمتَ كُتب لك أو عليك**» (صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب)، وبقوله: «**وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم إلّا حصائدُ ألسنتهم**» (رواه الترمذي وأحمد وصححه الألباني).

وقد علم السلف خطر اللسان، فكانوا أشدّ الناس تحفظًا منه، **قال محمد بن واسع:** «حفظ اللسان أشدّ على الناس من حفظ الدينار والدرهم».

وقال فضيل بن عياض: «سجن اللسان سجن المؤمن».

وقال عمر بن عبد العزيز: «إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ويهرب من الناس، فاقتربوا منه؛ فإنّه يُلقَّن الحكمة».

وقال سفيان بن عيينة: «طول الصمت مفتاح العبادة».

وقال مورِّق العجلي: «تعلمتُ الصمت في عشر سنين، وما قلتُ شيئًا قطُّ إذا غضبتُ أندمُ عليه إذا زال غضبي».

سادسًا- محاسبة النفس:

وهي كما ذكر الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن يتصفح الإنسان في ليله ما صدر من أفعال نهاره، فإن كان محمودًا أمضاه، وإن كان مذمومًا استدركه إن أمكن، وانتهى عن مثله في المستقبل».

وعرفها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بقوله**: «هي أن يميز العبد بين ماله وما عليه فيستصحب ماله، ويؤدي ما عليه؛ لأنّه مسافرٌ سفر من لا يعود».

(انظر رسالة «من قبل أن تحاسبوا» للشيخ محمد عمر القاضي)

قلتُ: وأفضل أوقات المحاسبة بعد صلاة الفجر، فيتعاهد المرء نفسه بالتزام آداب وأحكام الشرع، وبعد صلاة العصر ليراجع ما فعله أثناء نهاره، وليتعاهدها بالتزام آداب الليل وهي قيام الليل، والنوم على وضوء والالتزام بأذكار النوم، والاستغفار والتوبة.

والمحاسبة مشروعةٌ لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ (الحشر: ١٨).

قال عمر بن الخطاب: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم».

obeikandl.com

وقال الحسن البصري: «المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله، وإنّما خفّ الحساب على قومٍ حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قومٍ أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة».

وقال الحسن البصري أيضًا: «لا يُلقى المؤمن إلّا يعاتب نفسه، ماذا أردتُ بكلمتي؟ ماذا أردتُ بأكلتي؟ ماذا أردتُ بشربتي؟ والفاجر يمضي قدمًا لا يعاتب نفسه».

وقال مالك بن دينار: «رحم الله عبدًا قال لنفسه: ألستِ صاحبة كذا؟ ألستِ صاحبة كذا؟ ثمّ ذمّها، ثمّ خطمها، ثمّ ألزمها كتاب الله عزّ وجلّ فكان لها قائدًا».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أضر ما على المكلَّف الإهمال وترك المحاسبة، والاسترسال، فإنّ هذا يؤول به إلى الهلاك، وهذا حال أهل الغرور، يهمل محاسبة نفسه والنظر في العاقبة، فإذا فعل ذلك سهل عليه مواقعة الذنوب وأنس بها وعسر عليه فطامها».

قلتُ: على المؤمن الذي عزم على محاسبة نفسه وتهذيبها أن ينتبه لثقل ذلك على النفس في البداية، فإذا لزمته ودامت عليه ألفته.

قال المحاسبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنّما ثقلت الفكرة (أي: تفكره في أمر آخرته) على العباد لثلاث خلال:

أحدها- أنّه إذا تفكر سجن عقله عن الدنيا، فقطعه عن راحته بالفكر في الدنيا والنظر في أمورها.

والثانية- أنّ الفكر في المعاد وشدائده تلذيعٌ للنفس حين تذكر المعاد والحساب ومالها وما عليها، فيثقل الفكر على النفس من أجل ذلك؛ لأنّه يثقل عليها ما أهاج عليها الغموم والأحزان.

والثالثة- أنّ النفس والشيطان قد علما أنّ العبد إنّما يطلب بالفكر خوفًا يقطعه عن كل لذةٍ لا تقرِّبه إلى ربه، ويحمله على كل مكروهٍ لها يحبه الله، فالنفس يثقل عليها الفكر إذا علمت أنّه إنّما يؤدي إلى قطع لذاتها عنها إذا كانت تبعدها عن ربها» (انتهى من كتاب «الرعاية» بتصرف يسير).

فَصْلٌ

ولوازم صحة المحاسبة خمسة أشياء:

أولها- يقين العبد بتقصيره في طاعة الله ويتحقق ذلك بإكثاره ومداومته على تذكر سيئاته القديمة والحديثة حتى يورثه ذلك الذل والخضوع والإخبات لله، وكذا بإكثاره من الاطلاع على سير السلف الصالح؛ لينظر كيف كان اجتهادهم، وليعلم تقصيره الشديد بالنسبة لهم.

ثانيها- صدق خوفه من النار وصدق رجائه ورغبته في الجنّة ولا يتحقق ذلك إلّا بأمرين: وهما اطلاع العبد على صفة الجنة وصفة النار في الكتاب والسُّنّة؛ ليعلم فظاعة النار وطيب الجنّة وحسنها، والثاني- تفكره في حاله وأنّه قد يُحرم من الجنّة ويدخل النّار، فالخواتيم مغيبة، وربما كان العبد يعمل الصالحات وفي باطنه خبيئة سوء ـ لا يعلمها إلّا الله ـ تكون سببًا لسوء خاتمته والعياذ بالله، وتأمّل قول الله عَزَّوَجَلَّ الذي شابت منه القلوب ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ (طه: ٧)، فالسّر ما لا يعلمه من البشر إلّا العبد نفسه، وأخفى منه ما هو في خبايا النفس ممّا لا يعلمه إلّا الله، والذي ربما كان سببًا لسوء الخاتمة، والبشر كلُّهم تحت هذا الخطر... **القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**... ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾ (الزمر: ٤٧)... إنّ الرجل ليعمل بعمل أهل الجنّة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل

النـار فيدخلها... ليـس العجب ممّن هلك كيف هلك، إنّما العجب ممّن نجا كيف نجا... كم من وجوهٍ عاملةٍ ناصبةٍ وقّع على قصص أعمالها تصلى نارًا حامية...

إخواني... طعام أهل النار أشـدُّ نتنًا من الغائط، وشرابهم أشـدُّ حرارةٍ من الحميم... خسروا أنفسـهم وأهليهم... يُرسـل عليهـم البكاء فيبكون الدمع حتـى ينقطع ثمّ يبكون الـدم، فلـو أجريت السـفن في دمعهم لجـرت... لا راحـة لهم فيهـا... ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة:٨٦)، ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (فاطر:٣٧)، ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ (الحج:١٩-٢٢)، وأمّـا أهـل الجنّـة فهـم: ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ (الصافات:٤٣-٤٩)... ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ (يس:٥٥-٥٨)... لا نصـب فيهـا ولا صخـب ولا ألم ولا تعب ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ (النبأ:٣١-٣٦)، ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (الزخرف:٧٠-٧٣)... ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ

إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ (الزمر: ٧٣، ٧٤).

ثالثها- كثرة ذكر الموت وقصر الأمل: فإنّ النفس طالما أمّلت في البقاء، لم تبادر إلى توبةٍ أو استقامةٍ، ولم تقبل نصح صاحبها لها ووعظه إيّاها، بخلاف من أكثرت من ذكر الموت.

قال ابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما تصفو الأعمال والأحوال إلّا بتقصير الآمال؛ فإنّ كلّ من عَدَّ ساعته التي هو فيها كساعته عند مرض الموت حسنت أعماله، فصار عمره كلُّه صافيًا».

وقال الحسن البصري: «ما أطال عبدٌ الأمل إلّا وأساء العمل».

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التُّقى ... ولاقيتَ بعد الموت من قد تزوَّدا

ندمت على أن لا تكون كمثله ... وأنك لم ترصد بما كان أرصدا

وقد بيّن الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أهمية ذكر الموت فقال:** «من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير من العمل».

وقال د/ خالد أبو شادي معلِّقًا على هذا القول: «إنّ دوام ذكر الموت يجعل للعبادة طعمًا آخر في القلب، ووزنًا آخر في ميزان الأعمال؛ لأنّها تخرج من قلبٍ مقبلٍ على الآخرة معرِضٍ عن شواغل الدنيا».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قصر الأمل هو العلم بقرب الرحيل، وسرعة انقضاء مدة الحياة، وهو من أنفع الأمور للقلب؛ فإنّه يبعثه على معافصة الأيام، وانتهاز الفرص التي

تمر مَرَّ السحاب، ومبادرة طَيِّ صحائف الأعمال، ويثير ساكن عزماته إلى دار البقاء، ويحثه على قضاء جهاز سفره، وتدارك الفارط، ويزهِّده في الدنيا، ويرغِّبه في الآخرة».

قلتُ: ومن أطال الأمل ونسي الموت أتاه الموت على حالٍ لا يرتضيها وندم حيث لا ينفع الندم.

وقد أحسن الناصح إذ يقول: «يا طويل الأمل... يا كثير الزلل... يا عظيم الكسل... يا عديم الوجل... الإفاقة الإفاقة قبل نزول الفاقة، فما أطلق عبدٌ العنان لأمله إلّا عثر في الطريق بأَجَله».

وما أجدر كلّ واحدٍ منا بأن يعظ نفسه بما وعظ به عبد الرحمن بن يزيد أحدَ الغافلين، فقال له: يا فلان هل أنت على حالٍ ترضى فيها الموت؟ قال: لا.

قال: فهل أجمعت لنقلةٍ إلى حال ترضى فيها الموت؟ قال: ما سنحت نفسي بذلك بعد.

قال: فهل بعد الموت دارٌ فيها مستعتب؟ قال: لا.

قال: فهل تأمن الموت بغتة؟ قال: لا.

قال: ما رأيتُ مثل هذا الحال رضي بها عاقل».

(من كتاب «سباق نحو الجنان» لـد/ خالد أبو شادي)

رابعها- ربط القلب بالآخرة: فيربط المرء الدنيا بالآخرة، والأرض بالسماء في كلّ ما يحدث له ومن حوله، فذلك من أكبر أسباب نجاح المحاسبة وتحقيق أهدافها.

وقد فهم السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ الأمر على حقيقته، وعلموا أنّ كلّ ما يحدث في الكون إنّما هو بإذن الله وله فيه الحكم الباهرة، والتي منها تنبيه قلب المؤمن وتذكيره بالآخرة، فكان أحدهم إذا وجد في دابته صعوبةً في الانقياد وفي زوجته سوءًا في الخلق نسب ذلك إلى سيئاته وقال: «كلُّ ذلك بسبب ذنوبي».

ولذا قال بعض السلف: «إني لأعرف معصيتي في خلق دابتي وامرأتي».

وكان عطاء السلمي إذا وجد في السوق غلاءً قال: «كل ذلك بسبب عطاء، لو مات عطاء لاستراح الناس».

ومرّ بعض السلف بطريق فوقع على رأسه رمادٌ محترقٌ فقال: «من استحق النار فصولح عنها برمادٍ محترق قد أُحسن إليه».

ومرّ بعض السلف في طريقٍ، فاعترضه بعض السفهاء فشتمه ووقع فيه، فدخل بيته يبكي وقال: «ما سُلِّط عليّ إلّا بسبب ذنوبي». ودعا عبد الله بن عمر عند إفطاره بماءٍ بارد، فلما تناوله بكى حتى اختلطت دموعه بالماء، فسئل عن ذلك فقال: تذكرتُ قول أهل النار ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (الأعراف: ٥٠). ومرّ الربيع بن خثيم بحدَّادٍ يدخل الحديد في النّار، فتذكَّر نار جهنّم فغشي عليه، وكان ابن المبارك جالسًا وسط أصحابه ليلًا فانطفىء السراج فتذكر ظلمة الصراط فبكى حتى اخضلّت لحيته بالدموع.

خامسها- مراجعة النية: ويشمل ذلك مراجعة النية في هذا العمل -أعني المحاسبة- على وجه الخصوص، وكذا مراجعة النية في الأعمال الصالحة على وجه العموم.

(أ) النية في المحاسبة:

وذلك باستحضار المرء أنّه بمحاسبته لنفسه يقوم بعملٍ مشروع له فيه الثواب حتى ولو لم يجد فيه لذةً، أو نفرت النفس منه، ولم تقبل عليه بهمّة في البداية.

(ب) مراجعة النية في الأعمال الصالحة على وجه العموم:

وذلك بمحاسبة المرء نفسه هل أخلصت في نيتها أم طلبت مدح الناس وثناءهم والشرف عندهم، وهل عند أدائها للعمل أعجبت، وطلبت الشهرة والرياسة والمكانة بينهم أم لا؟

قال الفضيل بن عياض: «من أحب أن يُذكر لم يُذكر، ومن كره أن يُذكر ذُكِرَ».

وقال أبو داود السجستاني: «الشهوة الخفية حب الرياسة».

وقال يحيى بن معاذ: «لا يفلح من شممت منه حب الرياسة».

وقال أيوب السختياني: «ما صدق عبدٌ قطّ، فأحبّ الشهرة».

وقال محمد بن واسع: «إن كان الرجل ليبكي عشرين سنةً وامرأته معه لا تعلم».

وليعلم العبد بأنّ الأصل في نفسه أنّها تسعى لنيل مدح الناس والشهرة بينهم، وأنّ الإخلاص ـ كما قال بعض السلف ـ أعزُّ شيءٍ عليها لعدم وجود نصيب لها فيه.

سادسها- التفكُّر: قال شقيق البلخي: «المؤمن مشغول بخصلتين: «الاعتبار والتفكر»، **وقال ابن القيم**: «التفكر من أجلّ أعمال القلب وأنفعها له، فالفكر هو الذي ينقل من موت الغفلة إلى حياة اليقظة».

قلتُ: للتفكر مجارٍ كثيرة كالتفكر في الموت، وتفكر المرء في سيئاته، التفكر في حال الأمّة، التفكر في عيوب النفس، وقد مضى ذكرٌ لطرفٍ من هذه الأنواع في أثناء كلامنا السابق وبقي نوعان وهما:

(أ) التفكر في عظمة الخالق:

وذلك بالتفكر في مخلوقات الله الكثيرة المتنوعة والتي أودع فيها سبحانه حكمًا باهرة يزيد إيمـان المرء وتعظيمه لربه بالاطلاع عليها، وقد منّ الله علينا في هذه الآونة بتيسـيرٍ كبيرٍ للاطلاع والنظر والتفكر خاصةً مع انتشـار الكتـب والأبحاث العلمية والأقراص المضغوطة (C.D) والتي تطلع المرء على عجائب قدرة الله وبديع صنعه في خلقه.

(ب) التفكر في نعم الله:

مع مقارنة ذلك بمعصية العبد وتقصيره، فيتولد الحياء من الله الذي هو باعث كل خير.

قال محمد بن الفضيل: «الحياء يتولد من النظر إلى إحسـان المحسن ثمّ من النظر إلى جفائك إلى المحسن، فإذا كنت كذلك رزقت الحياء إن شاء الله».

وقـال الجنيد: «الحياء رؤية الآلاء ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تُسـمّى الحياء، وحقيقته خلقٌ يبعث على ترك القبائح ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق».

قلتُ: ويتولد الحياء من اسـتقصاء المرء لنعم الله عليه وأعظمها الإسـلام، مع كثرة تفكره في سيئاته وأخطائه.

ويسـتفيد المـرء من كثرة تفكـره في نعم الله كذلك تولُّد محبـة الله في قلبه، فقد قالوا: «المحبة تنمو على حافات المنن».

الفصل الثاني

وظائف يوم الجمعة

وهو أفضل أيام الأسبوع على الإطلاق، ويستحب فيه التفرغ للعبادة، وسيكون الكلام عن وظائفه مشتملًا ـ إن شاء الله ـ على بحثين:

(أ) أحاديث في فضائله.

(ب) أحاديث فيما يشرع فيه، وما لا يشرع.

أولًا - أحاديث في فضائله:

١ - قال رسول الله ﷺ: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها**» (رواه مسلم).

٢ - وقال أيضًا: «**لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه** (كالفازلين أو أي شيء يثبت الشعر)، **ويمس من طيب بيته، ثمّ يخرج فلا يفرق بين اثنين** (أي: يقيمهما ويجلس بينهما)، **ثم يصلي ما كتب له** (أي: يصلي ركعات مطلقة يوم الجمعة)، **ثم ينصت إذا تكلم الإمام** (أي: يستمع إلى الإمام ويتدبر في خطبته)، **إلا غفر الله له ما بينه وبين الجمعة الأخرى**» (رواه البخاري)، وفي رواية: «**ولبس من أحسن ثيابه**»، وفي رواية: «**الجمعة كفارة لما بينها وبين الجمعة التي تليها، وزيادة ثلاثة أيام**» (رواه الطبراني وصححه الألباني).

قلتُ: فيدل هذا الحديث على أن كفارة ذنوب العشرة أيام مشترطة بتحقيق هذه الأعمال مجتمعة.

obeikandl.com

٣- وقال أيضًا: «**مَن غسّل يوم الجمعة واغتسل، وبكَّر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام فاستمع ولم يَلْغ؛ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها**» (رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وصححه الألباني).

قلتُ: وفيه أنه يشترط لهذا الثواب العظيم تحقق هذه الشروط مجتمعة، فقوله: «**غسّل**»، أي: بالغ في الغسل سواء لرأسه أو لبدنه، وقيل: أي أوجب على أهله الغسل بالجماع قبل صلاة الجمعة؛ لئلا يرى في طريقه إلى الصلاة، ما قد يفتنه، «**بكَّر**» أي: بالغ في التبكير، «**مشى ولم يركب**» أي: كان سيره كله إلى المسجد مشيًا دون أن يركب، فمن مشى وركب لم ينل هذا الفضل.

تنبيه: المقصود الأعظم من صلاة الجمعة هو الاستفادة وزيادة الإيمان باستماع الخطبة، فمن كان مخيرًا بين الصلاة في مسجد يستفيد منه ويركب إليه، وبين مسجد يمشي إليه، ولكن لا يستفيد فليصل في المسجد الأنفع، ولو ركب، فالاستفادة المقصودة لذاتها، أولى من وصف عدم الركوب، وحسبه أن يعمل ما يكفر به سيئات أسبوع وثلاثة أيام، وقد ذكرنا في الحديث السابق، ما يشترط لتلك المغفرة، وليس فيها ترك الركوب.

٤- وقال أيضًا: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**» (رواه مسلم).

٥- ومشى عباية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أحد التابعين) إلى المسجد يوم الجمعة، فلحقه أبو عبس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (صحابي)، وقال له: أبشر فإن خطاك في سبيل الله، وقد سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار**» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

٦- وقال أيضًا: «**إن يوم الجمعة سيد الأيام، وأعظمها عند الله، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر**» (رواه أحمد وابن ماجه، وحسنه الألباني).

٧- وقال أيضًا: «**تقعد الملائكة يوم الجمعة على أبواب المساجد معهم الصحف يكتبون الناس، فإذا خرج الإمام طويت الصحف**» (رواه أحمد والطبراني، وحسنه الألباني).

قلتُ: فكأن من حضر بعد صعود الإمام المنبر، لم يكتب في صحف الملائكة، وإن كان يكتب له ثواب الجمعة.

٨- وقال أيضًا: «**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى، فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية، فكأنما قرب بقرة، ومن راح الساعة الثالثة، فكأنما قرب كبشًا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة، فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة، فكأنما قرب بيضة**» (متفق عليه).

قلتُ: وهذه الساعات تبدأ من بعد شروق الشمس إلى صلاة الجمعة، وقيل: من بعد طلوع الفجر، وقيل غير ذلك.

وقال أيضًا عن ساعات يوم الجمعة: «**فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه**» ـ وأشار بيده يقللها ـ (رواه البخاري ومسلم)، وفي رواية: «**هي آخر ساعة بعد العصر**»، **قلتُ**: قوله: «**قائم**» أي: مقيم، كقوله تعالى: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا**﴾ (آل عمران: ٧٥). أي: مقيمًا على مطالبته، وأما قوله: «**يصلي**»، فمعناه: يدعو، فهذا الوقت لا صلاة فيه، وأما ما يفعله البعض من القيام للدعاء يوم الجمعة قبل المغرب، سواء في البيت أو المسجد فلا دليل عليه من سنة أو قول أو فعل صاحب ونخشى أن يكون بدعة، ـ نعم ـ من فعله مقلدًا أو متأولًا لم يكن مبتدعًا، ولكن ليست هذه السُّنّة، ولو كانت لورد عن الصحابة أو التابعين خاصة مع توافر هممهم على فعل الخير، ونقل السُّنن.

تنبيه: قوله في الحديث: «**وهو قائم يصلي**»، يدل على استحباب كون الدعاء في هذه الساعة في المسجد؛ فقد روى هذا الحديث عبد الله بن سلام لأبي هريرة، فقال أبو هريرة له: «لا صلاة بعد العصر»، فأخبره عبد الله بن سلام بأن الرسول ﷺ قد أخبر بأن العبد في صلاة ما انتظر الصلاة، فكأن ابن سلام رضي الله عنه فهم استحباب كون هذا الدعاء في المسجد، وذلك بأن يمكث الداعي في المسجد آخر ساعة قبل المغرب، ويظل فيه حتى صلاة المغرب، وهذا هو الأكمل والأرجى للإجابة، ولكن من دعا في بيته، فإنه يستجاب له أيضًا لعموم الأحاديث الأخرى التي ذكرت فيها ساعة الإجابة دون التقييد بالصلاة، وعليه فذكر انتظار الصلاة في بعض الأحاديث ذكر لبعض أفراد العموم، وليس تخصيصًا.

وقد اختلف العلماء في هذه الساعة ما هو مقدارها خاصة لرواية: «**يقللها**»، فهل الساعة المذكورة هي الساعة عند العرب، وهي الوقت بغض النظر عن مقداره أم الساعة بمقياس الناس اليوم؟، والظاهر أن نقول لفظ: «**الساعة**»، كبقية الألفاظ التي تكلم بها الشرع، فيحمل على معناه الشرعي، فإن لم يوجد حمل على معناه اللغوي، وقد ورد في الحديث: «**يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة**» (رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني)، فدل، على أن لفظ الساعة له مفهوم شرعي، فيحمل عليه، فيكون مقدار هذه الساعة هو (١/ ١٢) من الزمن ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ويختلف هذا باختلاف الفصول، ولكن يبقى السؤال.. هل الدعاء مستجاب في هذه الساعة كلها، أم في وقت يسير منها؟، والظاهر من إخبار الشرع بقلتها أنها جزء يسير من هذه الساعة، فعلى طالبها أن يدعو في الساعة كلها لينالها، ويدل لقوله رواية: «**هي ساعة أو بعض ساعة**».

(رواها ابن ماجه وصححه الألباني)

obeikandl.com

قلتُ: وهكذا عادة الشرع في الأعمال الفاضلة، حيث يخبر بزمنها، ولكن دون تحديد كامل ليبقى مسرح الاجتهاد كما جعل ليلة القدر تتنقل في العشر الأواخر ليجتهد الناس في الليالي كلها.

تنبيه: روى مسلم عن أبي بريدة بن أبي موسى الأشعري: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في ساعة الجمعة: «**هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تُقْضى الصلاة**»، ولكن قد ضعف هذا الحديث الكثير من العلماء، ولو ثبت فلا ينافي كون الساعة بعد العصر، أي: أنّه يستجاب الدعاء بعد العصر وأثناء خطبة الإمام معًا، هكذا رجح ابن القيم ـ والله أعلم ـ.

ثانيًا- ما يشرع فيه وما لا يشرع:

(أ) ما لا يشرع فيه:

١- **التأخر عن حضورها**: ففي الحديث: «**احضروا الجمعة وادنوا من الإمام، فإن الرجل ليكون من أهل الجنة فيتأخرعن الجمعة فيؤخر عن الجنة، وإنه لمن أهلها**».
(رواه الطبراني وحسنه الألباني)

وشر من ذلك: ترك حضورها بالكلية، ففي الحديث: «**لينتهينَّ أقوام عن وَدْعهم الجمعات: أو ليختمنَّ الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين**» (رواه مسلم).

٢- **تخطي رقاب الجالسين في المسجد يوم الجمعة**: ففي الحديث: «جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة»، فقال له رسول الله ﷺ: «**اجلس فقد آذيت وآنيت** (أي تأخرت)» (رواه أبو داود والنسائي، وصححه الألباني).

قلتُ: وقد استثنى الفقهاء من هذا الحكم، ما لو وجد المصلي فرجة في مقدمة المجلس، والناس لا يشغلونها، فإنه يجوز له أن يتقدم إليها، ولو تخطى الناس، ولكن عليه أن يمشي إليها دون أن يؤذي أحدًا، ودون أن يرفع رجله قدر المستطاع.

obeikandl.com

٣- **الكلام أثناء خطبة الإمام**: ففي الحديث: «**إذا تكلمتَ يوم الجمعة والإمام يخطب، فقد لغوت وألغيت**» (رواه ابن خزيمة وصححه الألباني).

قلتُ: ولا يدخل في هذا الكلام أثناء جلوس الإمام على المنبر (سواء قبل الخطبة أو بعد الخطبة الأولى)، ولا أثناء دعائه، وإن كان الأولى ترك الكلام؛ لئلا يشوش على الناس، خاصة أثناء دعاء الإمام.

٤- **تخصيص يومها بصيام أو ليلتها بقيام**: ففي الحديث: «**لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون صومًا يصومه أحدكم**» (رواه مسلم).

قلتُ: كمن يصوم يومًا ويومًا، فوافق صيامه يوم الجمعة، فيجوز له صيام يوم الجمعة منفردًا، وكذا لو وافق يومًا يصومه المرء لفضيلة اليوم، كيوم عاشوراء، أو يوم عرفة.

(ب) ما يشرع فيه:

١- **الاستعداد لصلاة الجمعة**: بما ذكر في الأحاديث: فقرب الناس ومنازلهم يوم الجمعة في الجنة على قدر قربهم من الإمام وتبكيرهم يوم الجمعة في الدنيا، كما صح بذلك الحديث.

٢- **صومه مع يوم الخميس أو مع يوم السبت**: ففي الحديث: «وكان رسول الله ﷺ، قلَّما يفطر يوم الجمعة» (رواه الترمذي وصححه الألباني)، وفي الحديث: «**خمسٌ من عملهنَّ كتبه الله من أهل الجنة: من عاد مريضًا وصام يومًا، وشهد جنازةً، وراح إلى الجمعة، وأعتق رقبة**» (رواه ابن حبان، وحسنه الألباني).

obeikandl.com

قلتُ: وقد انعدمت الرقاب الآن، ولكن قد يجزئ ـ إن شاء الله ـ قول العبد: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»، فقد ورد في الحديث: أن ثوابها كعتق رقبة (رواه أبو داود، وصححه الألباني)، وعليه فيشرع الصيام وتشرع هذه الأعمال يوم الجمعة.

٣- **التفرغ للعبادة فيه**: خاصة لمن شغل طيلة الأسبوع بعمل.

وقد قال ابن القيم: «مَن صحت له جمعته صح له أسبوعه، ومن صح له رمضانه صح له عامه، ومن صحت له حجته صح له عمره كله».

قلتُ: ومن أنفع ما يكون يوم الجمعة الدعاء في ساعة الاستجابة، والإكثار من التنفل المطلق قبل صلاة الجمعة، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يخرجون إلى المسجد يوم الجمعة مبكرًا، ويصلون حتى يخرج رسول الله ﷺ للخطبة.

إخواني.. كم قصرتم أثناء الأسبوع؟.. وكم فات من قيام وخشوع؟.. فالزموا النوافل يوم الجمعة.. واحذروا الرياء والسمعة[١].. عوِّضوا ما فات من قرآن.. والزموا في الساعة أدعية العدنان[٢].. دعاء يوم الجمعة نور.. وكم وجد العارفون فيه السرور.. بشرط اليقين في الغفور[٣].. واليأس من النفس.. فلن يوفق مغرور[٤].

---

(١) **أعني**: أنه يشرع التنفل في المسجد يوم الجمعة قبل خروج الإمام، فعلى المصلي أن يراقب قلبه، فربما راءى بصلاته أمام الناس.

(٢) **أعني**: أنه بستحب الدعاء في ساعة الإجابة يوم الجمعة، وخير الأدعية أدعية العدنان ﷺ، ففيها خير وبركة، ولها آثار عظيمة في تنوير القلب، وإبهاج النفس، ومن أدمنها عرف ما أقول وقد جمع الشيخ أحمد حطيبة أدعية رسولنا، واستعاذاته في كتاب الدعوات الطيبات، فعلى العبد أن يحرص عليها.

(٣) **أعني**: أن الدعاء لا ينفع الداعي، إلا لو أيقن في الله ووثق فيه أن يقبل دعاءه، فيدعو بقوة قلب ويقين.

(٤) **أعني**: أن الدعاء لا ينفع الداعي، كذلك إلا إذا أيقن أنه لن يستطيع أي خير إلا بالله لا بنفسه، فإذا به يتضرع ويلح على الله في دعائه.

٤- كذلك يشرع فيه الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ: ففي الحديث: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة؛ فإن صلاتكم معروضة عليَّ**»، قالوا: يا رسول الله.. كيف تعرض عليك وقد أرمت؟، فقال: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**» (رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، وصححه الألباني)، وتتأكد كذلك الصلاة على رسولنا ﷺ أثناء الدعاء، وفي آخره وفي أوله، فالدعاء موقوف في السماء حتى يصلي الداعي على رسولنا ﷺ.

فائدة:

يستحب عمومًا الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ لعظيم فضلها، ولكن يزداد الاستحباب يوم الجمعة، فمن المناسب هاهنا أن نورد بعض الأحاديث في فضل الصلاة على رسول الله ﷺ:

۞ قال رسول الله ﷺ: «**خطئ طريق الجنة من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ**» (رواه ابن ماجه، وصححه الألباني).

۞ وقال أيضًا: «**من صلى عليَّ صلاة واحدة، صلى الله عليه عشر صلوات، وحطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات**» (رواه النسائي، وصححه الألباني).

۞ وقال رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ: أرأيت إن جعلت لك صلاتي كلها بالليل؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إذًا تُكفى همُّك، ويُغْفر لك ذنبك**».
(رواه أحمد والترمذي والحاكم، وحسنه الألباني)

۞ وقال ﷺ: «**ما من مسلم يصلي عليَّ إلا صلت عليه الملائكة ما صلى عليَّ، فليقلّ العبد من ذلك أو ليكثر**» (رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني).

obeikandi.com

❁ وقال أيضًا ﷺ: «**إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم صلاة عليَّ**». (صححه الألباني في صحيح الجامع)

❁ وقال عمر رضي الله عنه: «الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء، حتى تصلي على نبيك ﷺ» (رواه الترمذي، وحسنه الألباني موقوفًا على عمر).

❁ وقال النبي ﷺ: «**ما جلس قومٌ مجلسًا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلُّوا على نبيهم إلا كان عليهم تِرة، فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم**» (رواه الترمذي وصححه الألباني)، وقوله: «تِرة» أي: حسرة وندامة، وقد استدل به بعض العلماء على وجوب الصلاة على النبي ﷺ في كل مجلس تجلسه الجماعة.

٥- وكذلك يشرع قراءة سورة الكهف سواء في ليلة الجمعة (بعد غروب الشمس يوم الخميس)، أو في نهارها (أي: من طلوع الفجر إلى غروب شمس يوم الجمعة)، ففي الحديث: «**من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين**» (رواه البيهقي وصححه الألباني)، وفي رواية: «**ليلة الجمعة**» (وهي أيضًا صحيحة).

٦- وكذلك يشرع قراءة سورة السجدة والإنسان في فجر يوم الجمعة، كما صح بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ، ويستحب المداومة على ذلك كل جمعة، إلا لو خشي الإمام من مداومته أن يظنّ لزوم ذلك، فعليه أن يترك قراءتهما في بعض الجمعات؛ ليعلم الناس عدم لزوم ذلك، وليس المقصود من هذه السور السجود في فجر الجمعة، بل المقصود تذكير المؤمن بالقيامة وأهوالها، وببدء خلقة الإنسان، فقد خلق آدم يوم الجمعة، وفيه تقوم الساعة، وفي الحديث: «**ما من صلاة أفضل عند الله من صلاة الفجر يوم الجمعة**» (صححه الألباني في «صحيح الجامع»)، وفي آخر: «وما من ملك مقرب، ولا سماء، ولا أرض، ولا رياح، ولا جبال، ولا بحر إلا وهنّ يشفقن من يوم الجمعة».
(رواه أحمد وابن ماجه، وحسنه الألباني)

قلـتُ: لكونه اليوم الذي تقوم فيه السـاعة، وأمّا الإنـس والجن، ففي غفلة إلا من رحم الله منهم.

۞ لا يسن في فجر الجمعة قراءة سور فيها سجدة غير سورة السجدة، كما ظن بعض العوام، فالمقصود كما قدمنا تذكير المؤمن بمعاني سورة السجدة، لا السجدة نفسها.

إخواني.. أشفق الكون كله وأنتم غافلون.. وتعبَّدوا وأطاعوا وأنتم المتكاسلون.. عجبًا لكم.. لو كنتم تعلمون.. أفي يوم الجمعة تلهون!! وعن ذكر القيامة تحيدون!!

Obeikandl.com

الفصل الثالث
وظائف أيام الأسبوع الأخرى

أولًا - يومي السبت والأحد:

وهما يوما اليهود والنصارى، فلا يجوز لمسلم أن يجعل يوم تفرغه (إجازته) من عمله أو محله في أحدهما، حتى ولو كان لا يقصد التشبه بهما، أو كان لا يعرف أنَّ اليهود والنصارى لا يعملون في هذين اليومين؛ لأن ترك العمل في هذين اليومين من سمات اليهود والنصارى الخاصة بهم في دينهم، فهم أول من تدين بذلك.

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه القيم «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم»: قرر أن التشبه بالكفار فيما هو في الأصل سمة لهم في أمور دينهم، لا يجوز، ولو انتشر بين المسلمين؛ لعموم قوله ﷺ: «**مَن تشبه بقوم فهو منهم**»، ولا تشترط في ذلك نية التشبه بل مجرد المشابهة في الظاهر منهي عنها.

ويكره إفراد يوم السبت بصيام؛ لقول النبي ﷺ: «**لا تصوموا يوم السبت، إلا فيما افترض عليكم**» (رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني)، ولا يحرم لحديث: «**صيام يوم السبت لا لك ولا عليك**» (انظر السلسلة الصحيحة برقم ٢٢٥).

إلا لو كان صومًا قد اعتاده المرء، كأن يصوم يومًا ويومًا، فيقع يومه يوم السبت؛ لعموم قول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «**صم يومًا وأفطر يومًا**» (متفق عليه)، وكذلك لو صامه المرء مع يوم قبله (أي: يصوم الجمعة والسبت)، أو يوم بعده (أي: يصوم السبت والأحد)، فلا يحرم أيضًا؛ لأن رسول ﷺ دخل على جويرية رضي الله عنها وهي صائمة يوم الجمعة، فقال لها: «**أصمت بالأمس؟**»، فقالت: لا، فقال: «**أتصومين غدًا؟**»، فقالت: لا، فقال لها: «**فأفطري**» (رواه البخاري)، فدل على جواز صوم يوم السبت مع يوم الجمعة ويُقاس عليه لو صامه مع الأحد.

وأما يوم الأحد.. فالظاهر عدم جواز إفراده بالصيام أيضًا، قياسًا على يوم السبت بجامع أنه يوم عيد الكفار، فمن لم يتيسر له الصيام، إلا في أحدهما لظروف عمل أو ظروف ما، فلا يصم لعموم النهي، فإن وقع يوم عرفة أو يوم عاشوراء يوم السبت أو يوم الأحد، جاز إفرادهما وإن كان الأولى صومَ يومٍ معهما قبلهما أو بعدهما.

فإن صام المرء السبت والأحد معًا، بنية مخالفة المشركين احتمل أن يكون مشروعًا، ففي الحديث: كان أكثر ما يصوم النبي ﷺ من الأيام يوم السبت ويوم الأحد، وكان يقول: «**إنهما يوما عيد المشركين، وأنا أريد أن أخالفهم**» (رواه ابن خزيمة).

وقلتُ: «**احتمل**» لأنّ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضعفه قبل وفاته كما في كتاب «تراجع الإمام الألباني» بعد أن كان قد حسّنه.

ثانيًا- يومي الاثنين والخميس:

ويستحب صومهما استحبابًا مؤكدًا لمداومة الرسول ﷺ على ذلك، ففي الحديث: كان رسول الله ﷺ يتحرى صوم الاثنين والخميس.

(رواه النسائي وابن ماجه، وصححه الألباني)

❁ وفيهما تعرض الأعمال على الله، ففي الحديث: كان رسول الله ﷺ يصوم الاثنين والخميس، فسئل عن ذلك، فقال: «**تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم**» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

❁ ويغفر فيهما لكل مسلم إلا للمتخاصمين، ففي الحديث: «**تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس، فيغفر الله عَزَّوَجَلَّ لكل من لا يشرك بالله شيئًا، إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا**» (رواه مسلم).

إخواني.. تعرض أعمالكم في هذين اليومين على ربكم.. فياليت شعري من قُبل ومن لم يقبل.. انووا الخير من يومكم هذا.. عسى أن يعلوَ أمركم ولا يسفل.

إخواني.. أصلحوا أعمالكم في هذين اليومين.. عسى أن يغفر الله ما بينهما، فملوك الدنيا إذا تفقدوا أحوال الرعية في يوم، فكانت على ما يرام، سامحوا فيما مضى ولو علموا فساده، طالما كانت نية التغيير موجودة، فأمِّلوا في ربكم خيرًا.

فائدة:

عبادة الصيام من أجلّ العبادات وأنفعها لقلب المؤمن ففي الحديث: «**عليك بالصوم؛ فإنه لا مثل له**» (انظر صحيح الجامع).

وفي آخر: «**الصيام جُنّة وهو حصنٌ من حصون المؤمن**».
(رواه الطبراني وحسنه الألباني)

وقال بعض السلف: «الصيام معقل من معاقل العابدين» إلّا أنّه ينبغي للمؤمن أن يعلم حقيقة الصوم وهي الامتناع عن كل ما يبعد العبد عن ربه، وليس مجرد الامتناع عن الطعام والشراب.

ولذا قال ميمون بن مهران: «إنّ أهونَ الصوم تركُ الطعام والشراب»، ولذا ينبغي للمؤمن إذا كان يوم صيامه جلس مع نفسه من أول اليوم، ويا حبذا لو كان ذلك في جلسة الشروق، وعظها بحسن أداء صيام هذا اليوم بترك كل ما نهى عنه الشرع بما فيه المكروهات، وإتيان كل ما أمر به بما فيه المستحبات.

وقد قال بعض السلف: «لا يكن يوم صوم أحدكم ويوم فطره سواء»، فمن دام على ذلك وأكثر من الصيام، تعودت نفسه على الالتزام والانضباط بالأحكام الشرعية والآداب كلّ يومٍ.

ثالثًا- يوم الثلاثاء والأربعاء:

وقد رويت في فضل صيام يوم الأربعاء أحاديث لم يصح منها شيء عن رسولنا ﷺ: ولم يجيء في فضل يوم الثلاثاء شيء، ولكن ورد فيهما أحاديث خاصة بالحجامة، ففي الحديث: «**احتجموا على بركة الله يوم الخميس، واجتنبوا الحجامة يوم الأربعاء والجمعة والسبت والأحد تحريًا، واحتجموا يوم الاثنين والثلاثاء، فإنه** (أي: الثلاثاء) **اليوم الذي عافى الله فيه أيوب وضربه بالبلاء يوم الأربعاء، فإنه لا يبدو جذام، ولا برص، إلا يوم الأربعاء**» (رواه ابن ماجه وحسنه الألباني بالشواهد).

وكون يوم الثلاثاء يوم الشفاء، لا إشكال فيه، وإنما الإشكال في جعل يوم الأربعاء يوم البلاء، خاصة مع ما قاله البعض في تفسير قوله تعالى عن عاد: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحًا صَرۡصَرًا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ﴾ (القمر: ١٩)، قال: هو يوم الأربعاء، استمر نحسه إلى يوم القيامة، ووجه الإشكال أن التطير والتشاؤم بالأيام وغيرها لا يجوز، وقوله هذا قد يكون فيه متمسك لمن تشاءم بيوم الأربعاء.

والجواب أنّ قصارى ما يؤخذ من الحديث إذا قلنا بصحته، لزوم الاحتياط بترك أسباب البلاء يوم الأربعاء وليلته أكثر من بقية الأيام، فالشرع قد حث على ترك أسباب البلاء عمومًا، ولكن يلزم الاحتياط أكثر في يوم الأربعاء وليلته.

وأمّا عن الآية.. فالقول الصحيح في تفسيرها هو استمرار أيام البلاء، لا استمرار النحس، فقد قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (الحاقة: ٧)، فالذي استمر هو البلاء وأيامه، حتى اكتملت الأيام ثمانية ـ لا ـ أن نحس هذا اليوم استمر إلى يوم القيامة، بدليل أن يوم الأربعاء هو يوم نصر الله للمؤمنين مع نبي الله هود، كما أنه يوم إهلاك قوم عاد، ولو سلمنا بأن الذي استمر هو نحس يوم الأربعاء، فالمقصود هو استمرار نحس هذا اليوم على قوم عاد إلى يوم القيامة، فهم يعذبون في حياة البرزخ كل يوم، ولكن يزاد في عذابهم يوم الأربعاء، ويحمل القول المذكور عن بعض

السلف على هذا المعنى، وأما جعل يوم الأربعاء يوم نحس وتشاؤم مطلقًا، فلا يصح لمخالفته للسُّنّة الصحيحة، وعدم الدليل عليه.

تنبيهان:

١- **صحّح الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «صحيح الجامع» حديث:** «كان رسول الله ﷺ يصوم من الشهر السبت والأحد والاثنين، ومن الشهر الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس» ولكن ضعَّفه قبل وفاته كما نُقل عنه في كتاب (تراجع الإمام الألباني للشيخ محمد بن عبد الحميد).

٢- عن جابر أنّه قال: «دخل رسول الله ﷺ مسجد الفتح فدعا يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء، فكنتُ إذا نزل بي أمرٌ قائظٌ تحريتُ الدعاء في هذه الساعة فأرى الإجابة» (حسنه الألباني وقال: «لا يقال هذا من قبل الرأي، فله حكم الرفع»).

والراجح ـ بفرض تحسين الحديث ـ عدم مشروعية ذلك، فهذا ممّا يدخله الاجتهاد والرأي، وليس له حكم الرفع، ولم يرد ذلك عن كبار الصحابة ممّن هم أعلم وأفضل من جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كالخلفاء الأربعة، فإجابة الدعاء إنّما وقعت اتفاقًا في هذا اليوم، وربما كان يُستجاب لجابرٍ إذا دعا في هذا اليوم لإتيانه بأسباب إجابة الدعاء، وليس لمشروعية تخصيص يوم الأربعاء، خاصةً وأنّ يومي الاثنين والخميس ترفع الأعمال فيهما إلى الله، وليس كذلك يوم الأربعاء، فهما أولى بتخصيصهما بذلك ـ ولم يرد ـ فضلًا عن أنّ يوم الجمعة قد خُصّ بساعة إجابة، ولو كان يوم الأربعاء كذلك لما كان يوم الجمعة أرجى من يوم الأربعاء لإجابة الدعاء، وهذا خلاف إجماع المسلمين، ثمّ إنّه لم يرد أنّ رسول الله ﷺ نفسه تحرّى الدعاء يوم الأربعاء قطّ مع أنه هو الذي استجيب له ﷺ يوم الأربعاء، ولا ورد عنه أنّه حث أصحابه على ذلك.

الفصل الرابع

وظائف يوم عاشوراء

وهو يوم نصر الله لنبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإغراق فرعون وجنوده.

إخواني.. لا تيأسوا فبشائر نصر الله للمؤمنين في هذا اليوم تزيل ضباب الاضطهاد والظلم.. كان فرعون يذبح ذكور المؤمنين، ويستحيي النساء، فهل بلغ اضطهادكم عشر هذا؟، أشد ساعات الليل ظلمة، هي التي يليها الفجر مباشرة.. وها هو ليل الكفر يزداد ظلمة، فإذا كملت الظلمة، ولم يبق بصيص نور.. فانتظروا الفجر.. فجر التمكين آت لا محالة.. ولظلام الكفر الإزالة.. ألا إن نصر الله قريب.. فاصبروا لحبس أي حبيب.. سيهلك ربكم الظالمين.. ويعلي سلطان الموحدين.. فالعاقبة للمتقين.. الكفر ضعف وهوان.. والتوحيد عز وتمكين.. وربكم القوي المتين.. الظلم بمرأى منه ومسمع، ولكنه يمهل.. ألم يقل «**إن كيدي متين**».

إخواني.. صوموا هذا اليوم شكرًا لتمكين من سبق.. عسى ربكم أن يمكن من لحق.. وأبشروا والله خيرًا.. فلن يمكن الرب عبدًا له أبق (أي: الكافر؛ فالعبد الآبق هو العاصي لمولاه).. ألم يقل: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ (النساء: ١٤١).. فاستعينوا به.. وكفى به وليًا ونصيرًا.

إخواني.. ليكن هدفكم القيام بالعبودية لله، ففي وقت الضعف عبودية، وفي وقت التمكين عبودية، فمن أدى عبودية وقت الضعف استحق التمكين، ومن لا فلا.. فابذلوا الجهد، ولا تتعجلوا الثمرات.. وحسبكم أن تضعوا في البناء لبنة من اللبنات.. مات مصعب ولم ير التمكين.. فهل لامه رب السموات والأرضين؟!!.. فإياكم واليأس.. فهو أعظم المثبطات.. واحذروا العجلة.. فربَّ عجلة ساعة أخرَّتكم سنوات.. ما أحوج

دولة الإسلام لعلماء مبصرين.. فعجبًا لجهال يطلبون التمكين.. فقوموا بطاعة الوقت، وسيدبر الرب لكم.. إن الله لا يهدي القوم الظالمين.

أحاديث تفيد أن النصر والتمكين للمتقين ولو بعد حين:

١- قال رسول الله ﷺ: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز، أو بذل ذليل عزًا يعز به الإسلام، وذلًا يذل به الكفر**» (رواه ابن حبان، وصححه الألباني).

٢- وقال أيضًا: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى**»، فقالت عائشة: يا رسول الله.. إن كنت أظنّ حين أنزل الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣)، أن ذلك تامًا، قال: «**إنه سيكون ذلك ما شاء الله**» (رواه مسلم).

قلتُ: وفيه أنّ دين الأرض كلها، سيكون الإسلام في زمنٍ ما قادم ـ إن شاء الله تعالى ـ.

٣- وقال أيضًا: «**إن الله زوى** (أي: ضم وجمع) **لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها**» (رواه مسلم).

٤- وقال أيضًا: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله، إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون (قلتُ**: وهي فترة الخلفاء الراشدين)، **ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا ما شاء الله أن يكون** (أي: ملكًا يطلبه الناس ويعضون عليه)، **ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبريًا، فتكون ما شاء الله أن تكون** (وهو أن يجبر الناس على حاكمهم وهو عصرنا)، **ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت**».
(رواه أحمد وصححه الألباني)

obeikandl.com

قلتُ: فنحن في انتظار منهاج النبوة.

٥- وسُئل رسول الله ﷺ: «**أي المدينتين تفتح أولًا: أقسطنطينية أو رومية؟**»، فقال: «**مدينة هرقل أولا**»، يعني: قسطنطينية (رواه أحمد وصححه الألباني).

قلتُ: وقد تحقق ذلك على يد محمد الفاتح، ونحن في انتظار فتح روما عاصمة إيطاليا الآن.

٦- وقال ﷺ: «**عصابتان أحرزهما الله من النار: عصابة تغزُو الهند، وعصابة تكون مع عيسى بن مريم**»، وقال أيضًا: «**طوبى لعيشٍ بعد المسيح يؤذن للسماء في القطر ويؤذن للأرض في النبات حتى لو بذرت حبّك على الصّفا لنبت**» (صححهما الألباني في «صحيح الجامع»)، وقال ﷺ عن المهدي المنتظر: «**يصلحه الله في ليلة**»، وقال أيضًا: «**يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت جورًا وظلمًا، يملك سبع سنين**» (وقد صححهما أيضًا الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ).

تنبيهان:

١- اختلف العلماء في حكم التوسعة على العيال في يوم عاشوراء، فالبعض رأى مشروعيته لحديث: «**من أوسع على عياله وأهله يوم عاشوراء أوسع الله عليه سائر سنته**» (رواه البيهقي مرفوعًا وعن جماعةٍ من الصحابة)، وقال: هذه الأسانيد وإن كانت ضعيفة فهي إذا ضمّ بعضها إلى بعضٍ أخذت قوة.

وقال سفيان بن عيينة: «جربناه منذ خمسين سنة فما وجدنا إلّا خيرًا». وروي عن عمر بن الخطاب ولكن في سنده مجهول. والبعض رأى عدم مشروعيته لضعف الحديث فقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع، ومشكاة المصابيح، وهذا هو الراجح ولكن في المسألة خلافٌ سائغ لا يُبدَّع فيها المخالف.

٢- صحّ عن النبي ﷺ أنّ عاشوراء يكفر ذنوب سنة، وهو يوم العاشر من محرم ـ خلافًا لما قد ظنّه بعض المتقدمين من أنّه اليوم التاسع ـ لحديث: «عاشوراء يوم العاشر» (صححه الألباني في «صحيح الجامع»)، ويُستحب صيام التاسع معه لمخالفة اليهود؛ لأنّ الرسول ﷺ لمّا أُخبر أنّ اليهود يصومون العاشر، فقال: «**لئن بقيتُ إلى قابلٍ لأصومنَّ التاسع**» (رواه مسلم)، أي: مع العاشر. فالذي ينبغي صيام هذين اليومين مع الإكثار ـ والله أعلم ـ في يوم العاشر من الاستغفار وتجديد العزم على التوبة والندم على ما كان من سالف الخطايا، فهو يوم مغفرةٍ من الله وعفوٍ، والله المستعان.

obeikandl.com

الفصل الخامس
وظائف أيام العيدين

١- اختلف العلماء متى يبدأ التكبير المخصوص في عيد الفطر، فقيل: ليلة العيد، فيكبر المسلمون بعد المغرب وبعد العشاء ليلة العيد وبعد فجر يوم العيد، لقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٥)، ففهم منها بعض العلماء أن التكبير يشرع بعد إكمال عدة شهر رمضان، وقال فريق آخر: لا يشرع إلا بعد الفجر؛ لأنه لم يرد عن رسول الله ﷺ أنه كبر بعد مغرب، أو بعد عشاء ليلة العيد، ولو فعل لنقل إلينا، والواو في الآية لا تقتضي ترتيبًا، فلا دليل على أن التكبير يكون فور انتهاء العدة، وهذا هو الراجح، ولكن في المسألة خلاف سائغ.

٢- يشرع التكبير المخصوص في أيام عيد الأضحى ويبدأ من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق، وقد صحت بصيغه عدة روايات عن صحابة رسول الله ﷺ، فقد ثبت بإسناد صحيح عن ابن مسعود أنه كان يكبر، فيقول: «**الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد**»، وثبت عنه أيضًا أنه كان يقول: «**الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد**»، فالظاهر مشروعية الصيغتين وعن سلمان بسند صحيح: أنه كان يكبر، فيقول: «**الله أكبر الله أكبر كبيرًا**»، والصيغ الواردة كلها إنما ثبتت عن صحابة رسول الله ﷺ، ولم يصح فيها عن رسول الله ﷺ شيء، ولذلك نص علماء على صيغ أخرى للتكبير، والأمر واسع ـ إن شاء الله ـ بل نص كثير من العلماء المعاصرين على عدم بدعية ما يفعله العوام من الصلاة على النبي ﷺ، وأزواجه وآله بعد التكبير، وإن كان الأولى ترك ذلك لعدم وروده عن صحابة رسول الله ﷺ، ولكن لا يُقال ببدعية ذلك.

التكبير المشروع قسمان:

(أ) تكبير مطلق:

ويبدأ من أول أيام العشر، فيشرع للمسلمين أن يكبروا الله، ويذكروه في الأسواق والطرق في هذه الأيام، في كل وقت دون تخصيص لوقت دون وقت، وكان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى الأسواق في هذه الأيام، فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما.

(ب) تكبير مخصوص:

وهو ما يشرع بعد صلاة الفريضة فقط دون النافلة من فجر عيد الفطر إلى صلاة عيد الفطر، فلا تكبير بعدها، ومن فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «لطائف المعارف»: «كل ما في الدنيا يذكِّر بالآخرة، فمواسمها وأعيادها وأفراحها تذكِّر بمواسم الآخرة وأعيادها وأفراحها».

صنع عبد الواحد بن زيد طعامًا لإخوانه فقام عتبة الغلام على رؤوس الجماعة يخدمهم وهو صائم فجعل يبكي، فسأله عبد الواحد عن بكائه، فقال: «ذكرتُ موائد الجنّة والولدان قائمون على رؤوسهم. أعياد الناس تنقضي، فأمّا أعياد العارفين فدائمة».

قال الحسن: «كلُّ يومٍ لا تعصي الله فيه فهو لك عيد». أوقات العارفين كلّها فرحٌ وسرورٌ بمناجاة مولاهم وذكره، فهي أعياد.

قال ذو النون المصري: «ما طابت الدنيا إلّا بذكره، ولا الآخرة إلّا بعفوه، ولا الجنّة إلّا برؤيته». من صام اليوم عن شهواته أفطر عليها غدًا بعد وفاته، ومَنْ تعجل ما حرم عليه من لذاته عوقب بحرمان نصيبه من الجنّة وفواته، شاهد ذلك من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، ومن لبس الحرير لم يلبسه في الآخرة».

أنت في دار شتاتٍ ... فتأهب لشتاتك
واجعل الدنيا كيومٍ ... صمته عن شهواتك
وليكن فطرك عند اللـ ... ـه في يوم وفاتك

أيام العيد (خاصةً أيام عيد الأضحى) يجتمع فيها للمؤمنين نعيم أبدانهم بالأكل والشرب ونعيم قلوبهم بالذكر والشكر، وبذلك تتمّ النعم، وكلما أحدثوا شكرًا على النعمة كان شكرهم نعمةً أخرى فيحتاج إلى شكرٍ آخر، ولا ينتهي الشكر أبدًا.

وفي قول النبي ﷺ عن أيام التشريق: «**إنّها أيام أكلٍ وشربٍ وذكرٍ لله تعالى**» إشارة إلى أنّ الأكل في أيام الأعياد والشرب إنّما يستعان به على ذكر الله وطاعته، وذلك من تمام شكر النعمة أن يستعان بها على الطاعات، وقد أمر سبحانه في كتابه بالأكل من الطيبات والشكر له، فمن استعان بنعم الله على معاصيه، فقد كفر نعمة الله وبدّلها كفرًا وهو جدير أن يسلبها كما قيل:

إذا كنتَ في نعمةٍ فارعها ... فإنّ المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله ... فشكر الإله يزيل النقم»

(انتهى كلامه ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتصرف)

فَصْلٌ

في الدروس المستفادة من حجة الوداع:

أولًا- سياق حجته ﷺ:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ثم دفع رسول الله ﷺ (أي: من عرفة)، وقد شنق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى: «**أيها الناس السكينة السكينة**»، ثم أتى مزدلفة، فبات بها حتى أصبح، ثم أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعا الله وكبره، وهلله ووحده، فلم يزل واقفًا حتى أسفر جدًا، ثم أتى الجمرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف، ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثًا وستين بيده، ثم أعطى عليًا، فنحر ما غبر ثم أفاض إلى البيت» (رواه مسلم مطولًا)، واقتصرت على بعضه، وفي رواية: فأخذ حصى مثل الخذف، فقال: «**يا أيها**

الناس بمثل هذه فارموا وإياكم والغلو»، وفي بعض الروايات: فأتاه رجل، فقال: لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي، فقال: «**اِرْمِ ولا حرج**»، وأتاه آخر، فقال: لم أشعر فطفت قبل أن أنحر، فقال: «**طُفْ ولا حرج**»، فما سئل عن شيء قُدِّم أو أُخِّر إلا قال: «**لا حرج**».

ما يُستفاد منها:

١- قوله ﷺ لكل من أخطأ: «**لا حرج**»، وقوله: «**نحرتها هنا ومِنَى كلها منحر**»، يفيد مبدأ التيسير لأهل الأعذار من الناسين وغيرهم، ولكن لا يتضمن التهاون بالشرع أو اختيار الآراء السهلة التي توافق الهوى وإن خالفت الدليل الصحيح.

إخواني.. دينكم دين التيسير.. فارفقوا بالناس فبالرفق يزال العسير.

٢- قوله ﷺ عند الدفع إلى مزدلفة: «**السكينة السكينة**»: يفيد ضرورة الصبر وعدم التعجل، ولا ينافي هذا قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ (طٰهٰ: ٨٤)، فالعجلة في الخير مطلوبة طالما كانت لا تؤدي إلى مفاسد أعظم، فتأمل فعل رسول الله ﷺ في حجة الوداع، كما ورد في سياق حجته: «فكان إذا وجد فجوة نَصَّ (أي: أسرع)، فإذا وجد زحامًا أمسك بلجام دابته»، وهكذا المؤمن يسرع إذا وجد الفرصة سانحة، ويحجم إذا كان الأمر بخلاف ذلك.

إخواني.. ابذلوا الجهد ولا تتعجلوا الثمرات.. فكم تعجل أناس فأخَّروا الدعوة سنوات.

٣- قوله ﷺ: «**بمثل هذه فارموا، وإياكم الغلو**»: يفيد ضرورة الوسطية في هذا الدين، فالغلو والتشدد يفسدان دين العبد، ففي الحديث: «**إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى**»، وليس المقصود من الرفق اتباع زلات العلماء والمداهنة في الدين، كما قد فهم البعض، بل المقصود اتباع الدين، والأخذ برخصه المشروعة التي تيسِّر على الناس كالفطر في السفر، وقصر الصلاة،

obeikandl.com

وكعذر الجاهل والناسي وغيرهما من رخص الشرع، والمقصود كذلك من ترك الغلو.. التزام المرء بما يطيق من العمل وألّا يشدد على نفسه لئلا ينقطع عن العمل.

٤- تكبير رسول الله ﷺ عند رمي الجمار يفيد تنبيه المسلمين في كل مكان وزمان إلى ضرورة تعظيمهم لشرائع الله وحرماته، فأَولى ما يهتم به المسلم دينه، وأحق من يرضيه ربه، فالله أكبر من كل شيء، وشرعه أولى من كل منهج وشرع.

ويفيد التكبير كذلك بث الثقة في قلوب المسلمين وقت الاستضعاف، فالله أكبر من كل قوة، فلا يخف المسلمون من قوة عدوهم، فالله معهم، وهو أكبر من كل شيء.

ويفيد التكبير كذلك حث المسلمين على تطبيق شرع الله، فرادى وجماعات، وألا يعبؤوا بتهديد قوى الكفر لهم، أو تخويفهم إياهم، فالله متم نوره، ولو كره الكافرون.

٥- أداء المناسك عمومًا من طواف وسعي وذبح وحلق، يؤكد المبدئ العام في الإسلام، وهو الاتباع للشرع، وإن جهل المرء الحكمة من العمل ـ نعم ـ قد تظهر بعض الحكم ولكن يخفى الكثير.

٦- دعاء رسولنا في طوافه وسعيه وبمزدلفة يفيد أهمية الدعاء في حياة المسلم، فهو سبب الخير، فالعبد عاجز ضعيف، فعليه أن يدعو ربه ويستعين به في كل شيء، سواء في أمور الدنيا أو الآخرة، ولذا كان دعاء رسول الله ﷺ في كل شوط: «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار**» (رواه مسلم).

٧- ذبح رسولنا يوم النحر تذكرة لنا باستسلام إبراهيم وابنه إسماعيل لأمر الله، فالذبح رمز لذبح الهوى والنفس الأمارة بالسوء، فمن كان على استعداد تام أن يذبح نفسه وابنه لله لو أمره بذلك، فقد أدى ما عليه، والناس تتفاوت في استجابتها للشرع تفاوتًا عظيمًا، فالبعض إذا أُمِر شرعًا بما يكره فعل راضيًا، والبعض يفعل الطاعة مستثقلًا لها، ولكنه يقدِّم

أمـر الله، وهـو يأمـل أن لو هداه الله، والبعـض لا يجد ذلك بل يودّ أن لـو كان أمر الله بخلاف ذلك، والبعض يفعل المعاصي وهو غير راضٍ عن نفسه، والبعض يفعلها وهو راضٍ عنها، بل البعض يتفاخر بها، فعلى قدر ما في قلوب العباد يكون ثوابهم أو عقابهم ـ والله المستعان ـ.

٨- سـعي رسـولنا بين الصفا والمروة تذكـرة بالحياة، فالمرء يسـعى في حياته، والواجب شرعًـا أن يكون سـعيه لله متوكلًا فيه على الله، كما يسـعى بـين الصفا والمروة داعيًـا الله بالقبول والتوفيـق والإثابـة، وتذكـرة كذلـك بحقيقة الأمر، وهـو أن ما يفـوت العبد ويعـوزه لا يناله إلا باللجـوء إلى الله، وبالاسـتقامة على طاعتـه، فها هي هاجر لما فقدت الماء مـا نالته إلا بطلبها وتضرعها لربها.

والسـعي كذلـك تنبيه على أن عاقبـة امتثال الطاعـة الخير في الدنيـا والآخرة، ولو كانـت الطاعة شـاقة على النفوس، فها هي هاجر لما أطاعـت ربها، وتركت بلدها أكرمها الله وولدها أيما إكرام.

٩- دفع الناس من مزدلفة مع رسـول الله ﷺ لا قبله ولا بعده، يشـير إلى ضرورة التفاف الأمة حول الإمام الصالح، فلا يخالفوه ما لم يأمر بمعصية الله.

١٠- تـرك رسـول الله ﷺ للمشـعر الحـرام قبـل طلـوع الشـمس مخالفةً المشركين، تأكيد لأصل من أصول الشرع، وهو مخالفة المشركين، وعدم التشـبه بهم، وفي الحديث الصحيح: «**من تشبه بقوم فهو منهم**».

١١- رمي الشيطان بالجمرات مع عدم رؤيته، إرساء لمبدأ عظيم في الإسلام، وهو أن أخبـار الله ورسـوله أصدق عند المرء من رؤية عينه، فقد صـح عن ابن عباس أنه قال في رمـي الجمرات: «فالشـيطان ترمون، وملـة أبيكم إبراهيم تتبعـون» (صححه الألباني في الترغيب والترهيب).

موعظة:

إخواني.. لا تنسوا في يوم عيدكم من حُبِس وظُلِم.. فليكن فرحكم مشوبًا بالحزن.. وادعوا ربكم بالثبات.. فإنما العيد لمن ذاق حلاوة الإيمان.. واحذروا السرف في المطعم أو المشرب.. وطوبى لأهل الإحسان.

أبيح لكم ذبح البهائم وهي تُسبِّح.. فهل يصح منكم بعد ذا عصيان..

إخواني.. هذا عامٌ قد مضى.. فأيكم زاد إيمانه.. أفلح من فعل.. وخاب من كان أمله أمامه.

فائدة:

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كتاب «لطائف المعارف»**: «الموتى في قبورهم يتحسرون على زيادةٍ في أعمالهم بتسبيحة وبركعة، ورؤى بعضهم في المنام فقال: ندمنا على أمرٍ عظيم نعلم ولا نعمل، وأنتم تعملون ولا تعلمون، والله لتسبيحة أو تسبيحتان، أو ركعة أو ركعتان في صحيفة أحدنا أحب إلينا من الدنيا وما فيها. قال بعض السلف: كلُّ يومٍ يعيش فيه المؤمن غنيمة، وقال بعضهم: بقية عمر المؤمن لا قيمة له، يعني أنّه يمكنه أن يمحو فيه ما سلف من الذنوب بالتوبة، وأن يجتهد فيه في بلوغ الدرجات العالية بالعمل الصالح، فأمّا من فرّط في بقية عمره فإنّه خاسر، فإن ازداد فيه من الذنوب فذلك هو الخسران المبين. الأعمال بالخواتيم، من أصلح فيما بقي غفر له ما قد مضى، ومن أساء فيما بقي أخذ بما بقي وما مضى.

عش ما بدا لك سالمًا ... في ظل شاهقة القصور

يسعى عليك بما اشتهيـ ... ـت لدى الرواح ولدى البكور

فإذا النفوس تقعقعت ... في ضيق حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقنًا ... ما كنتَ إلاَ في غرور»

(انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ)

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «المدهش»**: «يا طويل الأمل في قصير الأجل، أما رأيت مستلبًا وما كمل؟ أتؤخر الإنابة وتعجل الزلل؟ التوبة التوبة قبل أن تصل إليك النوبة، الإنابة الإنابة قبل أن يغلق باب الإجابة، الإفاقة الإفاقة فيا قُرب وقت الفاقة، إنّما الدنيا سوقٌ للتجر ومجلس وعظ للزجر وليلُ صيفٍ قريب الفجر.

يا من يعدّ غدًا لتوبته ... أَعلى يقينٍ من بلوغ غد

المرء في زللٍ على أملٍ ... ومنية الإنسان بالرصد

أيام عمرك كلّها عدد ... ولعل يومك آخر العدد

اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عنه، وشكرك لمن أغدقتك نعمه، وطاعتك لمن لا ترجو خيرًا إلّا منه، وبكاءك على قدر ما فاتك منه، وارفع إليه يد الذل في طلب حوائج القلب تأتي وما تشعر» (انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ).

obeikandl.com

الفصل السادس

وظائف أيام العشر ويوم عرفة

إخواني.. اجتهدوا في هذه العشر.. عسى أن تغفر الآثام.. والزموا الطاعة ليل نهار.. واحذروا الأكل والمنام.. لا تضيعوا الأوقات فهي غالية.. وطوبى لأهل القرآن.. وإذا كسلتم أو فترتم فسبحوا.. وفاز أهل الإيمان.. صوموا نهارها وقوموا ليلها.. وسبق أهل الإحسان.

إخواني.. الاجتهاد في هذه العشر أفضل من الجهاد.. فاشكروا الرحمن.. وانتهزوا الفرصة.. فلا عذر لكسلان.. وأحيوا سحرها.. ففيه نسائم الإيمان.

الغنيمة الغنيمة بانتهاز الفرصة في هذه الأيام العظيمة، فما منها عوض ولا لها قيمة. المبادرة المبادرة بالعمل، والعجل العجل قبل هجوم الأجل، قبل أن يندم المفرِّط على ما فعل، قبل أن يسأل الرجعة فيعمل صالحًا، فلا يجاب إلى ما سأل، يا من ذنوبه بعدد الشفع والوتر، أما تستحي من الكرام الكاتبين؟ أم أنت ممّن يكذِّب بيوم الدين؟ يا من ظلمة قلبه كالليل إذا يسري أما آن لقلبك أن يستنير أو يلين؟ تعرّض لنفحات مولاك في هذه العشر، فمن أصابته سعد بها آخر الدهر، لمّا كان سبحانه وتعالى قد وضع في نفوس المؤمنين حنينًا إلى زيارة بيته الحرام وليس كلُّ أحدٍ قادرًا على ذلك في كل عام فرض على المستطيع الحج مرةً واحدة في عمره، وجعل موسم العشر مشتركًا بين السائرين والقاعدين، فمن عجز عن الحج في عامٍ قدر في العشر على عملٍ يعمله في بيته يكون أفضل من الجهاد الذي هو أفضل من الحج، وهو ذكر الله، ففي الحديث: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخيرٌ من إنفاق الذهب والوَرِق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟** قالوا: بلى. **قال: ذكر الله**».

(رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني)

إخـواني.. خير الدعـاء دعاء عرفة.. فادعوا ربكم وليقـم كل منكم بحق الله الذي عرفه.. من فاته التجرد عن الملبس بالإحرام.. فليتجرد ها هنا عن الذنوب والآثام.. ومن فاته أن يلبي بلسـانه.. فليطـع ها هنا وليلبِّ بجنانه.. ومن فاتـه الطواف ببيت الرحمن.. فليطف بقلبه في رياض القرآن.. ومن فاته السـعي هناك.. فليسـع في الخير هاهنا.. ومن فاته الذبح بمنى.. فليذبح هواه، وقد نال المنى.. ومن فاته رمي الجمار.. فليعص شيطانه وليـزل الأوزار.. ومـن فاته الحلق بالأمـواس.. فليزل ما في قلبه مـن أدناس.. ومن فاته الذكر والدعاء بالمشعر الحرام.. فعليه بهما في السحر والناس نيام.

إخواني القاعدين عن الحج لعذر.. ما فات من الطواف والوقوف بعرفة لا يعوض.. فلا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون.. يا عيون المحبين للحج لا تكُفِّي عن البكاء.. يا قلوب المشتاقين للحرم لا تتركي الاستياء.. أخوف ما أخاف عليكم أن يكون منعكم للهجر والجفاء[١]. زيارة البيت للعارف كالماء والهواء.. فواحسرتاه.. ووالهفتاه.. ووا أسفاه.. لولا مخافة الداء[٢].

إخـواني.. لا تنقطـع الأحزان ولو حججنـا العام المقبل.. إذ مـن وفق لحجة وكان بإمكانه حجتان قد غبن.

إخواني.. كيف تعوضون ما فاتكم من المشاعر والمناسك.. فادعوا ربكم أن يثيبكم بالنية.. واشـوقاه إلى الطواف ولذته.. ووالهفتاه على السـعي وحلاوته.. ووا أسـفاه على الإحـرام وحرمتـه.. وواحـزنـاه على الدعـاء بعرفة ومتعتـه.. اللهم اؤجرنـا في مصيبتنا وأخلف لنا خيرًا منها.

---

(١) أي: أخشـى أن يكون الله قد قلى وهجر من حرمه الحج فيكون قد حرمه الحج لجفوةٍ بين ذلك العبد وبين ربه.

(٢) أي: لولا أن التمادي في الحزن والكمد يسبب الاكتئاب والأمراض النفسية لتمادت نفسي في الأحزان على فوات الحج.

يا سائرين إلى البيت الحرام.. لقد سرتم أجسادًا ونحن سرنا أرواحًا.. إنا أقمنا على عذر.. ومن أقام على عذر كان كمن راحا.. ادعوا لنا بالإثابة وسندعو لكم بالقبول.

إخواني الحجاج.. أمّل القاعدون فيكم، فارفعوا حوائجهم إلى الوهاب.. وسلوا لهم الإثابة بالنية.. عسى أن يجزل الله لكم الثواب.. وادعوا لهم بالصبر.. فقلوبهم في عذاب.. وسلوا لهم الحج من قابل.. فدعاؤكم إن شاء الله مستجاب.. واحذروا العجب والرياء.. وإلا بطل حجكم وطردتم عن الباب.. حجكم توفيق من الله.. فاشكروا الوهاب..

إخواني... الحجاج في هذه الأيام قد عقدوا الإحرام وقصدوا البيت الحرام، وملئوا الفضاء بالتلبية والتكبير والتهليل والتحميد والإعظام، لقد ساروا وقعدنا، وقربوا وبعدنا فإن كان لنا معهم نصيب سعدنا... القاعد لعذرٍ شريكٌ للسائر، وربما سبق السائر بقلبه السائرين بأبدانهم..

إخواني القاعدين.. ادعوا الله أن يوفق الحجاج ويقبلهم.. عسى أن ترحم الأمة من أجل حجهم.. ولا تحسدوهم ولا تحقدوا.. وادعوا الله أن يرزقكم بمثل ثوابهم..

إنما المؤمنون إخوة.. فطوبى لمن كان قلبه للمسلمين سليمًا.. وخاب من حقد وكان أثيمًا.. فلا تكونوا كمن يصبِّر نفسه بكثرة من حُرم من الحج.. ولكن كونوا كمن قال: يا ليت الناس كلهم يحجون، فيرحم الله الأمة بهم وإن لم أكن معهم.

تنبيهان:

١- اختلف العلماء في التعريف، وهو اعتكاف الناس يوم عرفة في المسجد للذكر والدعاء، فقد فعله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وبعض التابعين، فرأى جوازه البعض، ولكن الراجح بدعية هذا الفعل إذ تخصيص أيام غير العشر من رمضان بالاعتكاف بدعة، ولو كان خيرًا لفعله كبار الصحابة ـ نعم ـ في المسألة خلاف سائغ، وابن عباس مثاب

لاجتهاده، ولكن الراجح بدعية هذا الفعل، وقد نص العلماء على أن الفعل قد يكون بدعة، ولا يعد فاعله مبتدعًا إذا كان مجتهدًا متأولًا.

ولكن من لم يستطع الدعاء في بيته في هذا اليوم لظرف ما، كانشغال أهل البيت بالتنظيف وغيره، فله أن يدعو في المسجد دون أن يعتقد أفضلية الدعاء في المسجد، في هذا اليوم، بل عموم قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (الأعراف: ٥٥)، يدل على استحباب التخفي بالدعاء عن أعين الناس سدًا لذريعة الرياء والعجب.

٢- اعتاد البعض الاعتكاف في المساجد أيام العشر الأول من ذي الحجة؛ لعموم قوله ﷺ: «**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه العشر**»، ولكن هذا الاستدلال غير صحيح، إذ لو شرع الاعتكاف فيها لفعله الصحابة، فقد كانوا أحرص على الخير منا.

فالمداومة على الاعتكاف في أيام غير العشر الأواخر من رمضان بدعة لا تجوز.

فَصْلٌ

في ذكر فوائد إيمانية مستفادة من شهر ذي الحجة:

١- أهمية الانشغال بالعبادات والمداومة عليها طوال العام:

فإنّ المرء ربما انشغل بالعلم، وتَرَك العبادات المستحبة من قيامٍ للّيل ومحافظةٍ على الأذكار وقراءة للقرآن، ويعزم على تعويض ذلك في مواسم الخير كرمضان وأيام العشر من ذي الحجة، فإذا به يتكاسل في هذه المواسم الفاضلة، وإذا به يُصاب بالفتور والكسل، فليكن في ذلك عبرة للعبد وعظة، وليعلم أنّ الله لا يجعل عبدًا يجتهد في العبادة طوال العام كمن كان مقصرًا طوال العام، وقد أشار ابن مسعود إلى ذلك فقال: «مَن يَقُم الحول يُصِبْ ليلة القدر» ولعلّ مقصوده ـ والله أعلم ـ أنّه لا يُوفَّق العبد لحسن أداء هذه الليلة الفاضلة إلّا إذا اجتهد طوال العام في القيام، وإلّا أصابه في رمضان الكسل والفتور والغفلة.

٢- أهمية حفظ القرآن والإكثار من تلاوته:

فإنّ العبد ربما شُغل في مواسم الخير بعملٍ وكثر انتقاله بين مهامّه فيها، فمن كان حافظًا للقرآن مكثرًا لقراءته طوال العام سهل عليه الاجتهاد في قراءة القرآن في هذه المواسم وسهل عليه استغلال الوقت الذي يقضيه في الانتقال في قراءة القرآن ـ ولو من غير تدبر ـ بخلاف المتكاسل طوال العام فإنّه يجد الفتور والكسل في هذه المواسم، وتضيع عليه أوقاته دون فائدة.

إخواني... بينما أنتم بالكاد تقاومون الكسل والفتور.. كان العارفون يجدون في العبادة النور والسرور.. انظروا كيف ضاعت عليكم مواسم الخير.. وأنتم المقصرون..

٣- أهمية عبادة الذكر:

فإنّ إكثار العبد من الذكر في هذه الأيام يورث قلبه حلاوة الإيمان ومحبة الله ورسوله ﷺ ... وكيف لا وهو أفضل الأعمال عند الله حتى أنّه أفضل من الجهاد الخالي عن الذكر!! وإكثار العبد منه في هذه الأيام ـ حتى في أوقات الفتور والكسل ـ يورث القلب حلاوةً، ولو كانت قليلة إلّا أنّها أفضل من ضياع الوقت في لا شيء، ففي هذا عظةٌ للعبد وتعليمٌ له أن يستغل أوقات فتوره وكسله بعدُ في الذكر، وغيره من الأعمال الصالحة حتى ولو غاب القلب، فشغل النفس بعملٍ خيرٌ من الغفلة والفراغ.

٤- طريقة محاسبة النفس الصحيحة:

فإنّ العبد المؤمن إذا حاول محاسبة نفسه، ومراجعته لأحوالها في هذه الأيام، ربما يُصاب بشرود الذهن والملل والانقطاع، ففي هذا تعليمٌ للعبد بأنّ التفكر والمحاسبة لابد من تمرس النفس عليهما، كما ينبهه على لزوم بحثه عن طريقة صحيحة للتفكر والمحاسبة لا تشرد معها النفس، وأفضل طريقةٍ ـ والله أعلم ـ هي قراءة العبد لأقوال

السلف وسيرهم ويقارن نفسه بهم ويحاسب نفسه بموازينهم، فيكون قد حصّل العلم والمحاسبة معًا، ولكن يقرأ بتمهل وتدبر، وكلّما انتهى من كتابٍ شرع في آخر ومن أفضل الكتب في ذلك: كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي ـ كتاب الزهد للإمام أحمد ـ كتاب حلية الأولياء، مع التحفظ من بعض أقوال الصوفية الخاطئة في كتاب حلية الأولياء ـ مدارج السالكين ـ طريق الهجرتين، وكتب ابن القيم عمومًا ـ البيان لأسباب زيادة الإيمان ـ تهذيب النفوس.

وكذا يقرأ للتفكر في الموت وأمور الآخرة الكتب المعناة بذلك مع تفكره وتدبره فيما يقرأ، وأفضل ما يقرأ لذلك تفسير آيات ذكر الجنة والنار في كتب التفاسير ـ وكذا يقرأ الأحاديث الصحيحة الواردة بذكر أمور الآخرة ـ وأيضًا كتاب التوهم للمحاسبي ـ وحادي الأرواح لابن القيم وكتاب التخويف من النار لابن رجب.

٥- أهمية التفرغ للطاعة في هذه الأيام:

فإنّ كثرة انشغال العبد بالدنيا وهمومها في مواسم الخير يشتت عليه قلبه، ويذهب عنه كمال حلاوة الطاعة، فعلى العبد أن يتفرغ فيها للطاعة قدر المستطاع.

٦- أهمية تنويع الطاعات:

فإنّ العبد المؤمن في هذه الأيام يُعنى بالطاعة، ويحرص على استغلال أوقاته كلّها في الخير، فربما أصابه الملل والفتور، فإذا نوّع الطاعات زال عنه الملل بفضل الله، وذلك من رحمة الله بعباده المؤمنين أن نوّع لهم الطاعات لعلمه بأنّ النفوس ملولة.

٧- لا يستمر في العبادة إلاّ الصادقون:

فربما اجتهد العبد في هذه الأيام وأحسن الطاعة فيها، فإذا جاء العيد وأيام التشريق توسع العبد في بعض المباحات التي أحلّها الله وغلبت عليه الغفلة والشهوات، وترك ما

قد بناه في تسع ذي الحجة، وهذه دلالةٌ على عدم الصدق، فالعبد الصادق هو الذي يستمر على الطاعة حتى الممات قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ (الحجر: ٩٩).

قال الحسن البصري: «ما جعل الله لعمل المؤمن أجلًا دون الموت ثمّ تلا هذه الآية».

فعلى المؤمن أن ينال ممّا أباحه الله من شهوات نيلًا مقتصدًا لا نهمة فيه ولا سرف حتى لا يفسد عليه قلبه وحتى لا تثقل عليه العبادة.

ومن مظاهر عدم الصدق أيضًا أنّ العبد ربما تعوَّد على الحج في كل عام، فإذا لم يحج في عامٍ لم يجتهد في العبادة والذكر ليعوِّض ما فاته من حج، بل يترك العبادة والاجتهاد فيها إذا لم يحج، وذلك علامةٌ على عدم صدقه، وربما كان حرصه على الحج لينال مدح الناس وثناءهم، وليس ابتغاء مرضات الله.

٨- الرضا عن الله في كل أقداره:

وذلك أن العبد الذي اشتاقت نفسه للحج يجد أشدّ الأسف على فوات الحج، على الرغم من أنّه ربما كان معذورًا غير مستطيعٍ، فاللازم ها هنا هو الرضا بقضاء الله وتقديره، ولا ينافي ذلك الحزن على فوات الطاعة إلّا أنّ الحزن المطلوب هو الحزن الذي يدفع العبد إلى الاجتهاد في الطاعة تعويضًا لما فات من الحج، وأمّا الحزن الذي يورث العبد اليأس والقعود عن الطاعة، فهذا مذمومٌ وهو من تلبيس الشيطان.

وليعلم الراضي عن الله بقضائه ـ ولو بفوات الحج ـ أنّه بنيته وحسن رضاه بالله ربما فاق من حجّ ببدنه، فإنّ أعمال القلوب أحب الأعمال إلى الله كما في الحديث: سئل رسول الله ﷺ أيّ العمل أفضل؟ قال: «**إيمانٌ بالله ورسوله**». قيل: ثمّ أيّ؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**». قيل: ثمّ أيّ؟ قال: «**حجة مبرورةٌ**» (وهو حديث صحيح «انظر

صحيح الترغيب والترهيب»)، وقوله: «**إيمانٌ بالله ورسوله**» يعني: أعمال القلوب من الرضا والزهد والتوكل والمحبة والصبر والخوف والرجاء وغيرها.

٩- ذمّ العبد لنفسه وشعوره بالتقصير:

وذلك أنّ العبد إذا سعى للاجتهاد في هذه العشر وجد من نفسه غفلةً وتكاسلًا وفتورًا وتقصيرًا ربما طالت مدته، وربما قصرت، فحينئذٍ يوقن بتقصير نفسه، وقلّة سعيها في الأعمال الصالحة، وقلّة رغبتها في الخير، وميلها وركونها إلى الشهوات، فلربما ينقص إيمانها فلا تكاد تعبأ، وينقص منها الدرهم فتبكي... تضيق ذرعًا بصلاة ساعة في الليل، ولا تعبأ بالوقوف ساعاتٍ لأخذ مالٍ أو طعامٍ...

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كتاب «المدهش»**: «يا من يخطي على نفسه ويقترف متى تندم وتعترف؟ يا من بحب العاجل قد كلف ستعلم غدًا جفن مَنْ يكف، يا مترددًا في التوبة سارع ولا تقف..... إلى متى أعمالك كلها قباح؟ إلى كم فساد؟ متى يكون الصلاح؟ ستفارق هذه الأجسادَ الأرواحُ إمّا في غدوٍ وإمّا في رواح، سيفنى هذا المساء والصباح، أفي هذا شكٌّ؟ والأمر صراح، هذا حادي الرحيل قد استعجلكم، فالبدار البدار، خلّوا كسلكم ودعوا التواني، فالتواني قد قتلكم، وا أسفى سبق الصالحون فماذا شغلكم، قد نُصحتم ووعظتم «فستذكرون ما أقول لكم»

عجبتُ من مستيقظٍ ... والقلب منه راقدُ
مضيِّعٌ لدينه ... وللذنوب رائدُ
كأنّه على مدا ... ه مُهمَلٌ وخالدُ
فحسِّنوا أعمالكم ... فهي لكم قلائدُ

(انتهى كلامه ـ بتصرف)

الخاتمة

أسأل الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ أن يتقبل هذه الرسالة، وأن ينفعني بها وسائر المسلمين، وأن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم، إنّه على كل شيءٍ قدير.

وأسأله كذلك أن يجزيَ الشيخ/ أحمد فريد حَفِظَهُ اللهُ خير الجزاء على قيامه بالتقديم لهذه الرسالة رغم كثرة أشغاله وضيق وقته، فأسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته، وأن يحفظه هو وسائر العلماء والدعاة المصلحين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..